

قصديّة الوعي عند هوسرل دراسة نقدية

أ.د عادل عوض

كلية الآداب - جامعة المنصورة - مصر

تاريخ الارسال: 2022/09/10-----تاريخ النشر: 2022/09/15

الملخص:

الفينومينولوجيا هي مصطلح يدل على علم وعلى نظام من الميادين العلمية، غير أن فينومينولوجيا تدل كذلك وفي الأصل على منهج وعلى موقف للفكر، موقف الفكر الفلسفي والمنهج الفلسفي بخاصة. إن موضوع الفينومينولوجيا هو الماهية التي تعد بمثابة أساس للشيء وحقيقته الثابتة، ولذلك فهي تنحصر أولاً وبالذات في عملية وصف الماهية. ومن هذه الوجهة فإن الفلسفة الفينومينولوجيا تقف في تعارض مع فلسفة القرن التاسع عشر الميلادي في الغرب مرة أخرى، وهي الفلسفة التي لم يكن تعترف لا بوجود ماهيات ولا بإمكان معرفتها.

تعد فينومينولوجيا هوسرل آخر تمظهر قوي لبديهية معرفية قائمة على التحالف بين الفلسفة والرياضيات. فالفلسفة تمثل حالة النسق ككل باعتباره وحدة، في حين أن الرياضيات تقدم له مبادئ اختزال الأشياء إلى اقانيم. فالكائن في تمظهراته يصبح التعبير عن وحدة تجد سبب وجودها في مبدأ النظام العددي والاختزالي. فالأعداد تسمح لكائن باختزال تعددية الكائن إلى وحدة للفكر.

هوسرل يحاول أن يضمن للفلسفة أساس مستقل بذاته إلا أنه هنا يحاول أن يستمد هذا الأساس الذي يبحث عنه من الرياضيات، وهذا يتعارض مع فكرة الاستقلالية الفلسفية، فكان من الأفضل لهوسرل أن يقدم لنا الأساس الفلسفي من رحم الفلسفة ذاتها دون التعرض لعلوم الأخرى وخاص أنه يرى أن الفلسفة تمثل حالة النسق الكامل. نظراً لأنه لا يستطيع استخدام أساليب العلوم الطبيعية لمشروعه الفينومينولوجي، يقوم هوسرل بعد ذلك بوضع طريقته الخاصة التي ستجعل دراسة الوعي دقيقة.

إن الفينومينولوجية لدى هوسرل مقيدة بما يفرضه هو على ذاته من حيث العلاقة القائمة بين نسق الفلسفة وبديهيات الرياضيات. وهذا يعكس مفهومه لظاهرة الوعي التي جعلها وقفا لرويته للفينومينولوجية مما جعل رؤيته للوعي اضيق من رؤية ديكرت رغم أن كل منهما جعل من الوعي الخطوة الأولى نحو التفلسف ولكن هوسرل ينظر من إطار بديهيات المسلم بها في حين أن ديكرت يسير وقفا لمنهج الشك الكلي، ومن هنا يأتي الاختلاف بينهما رغم وحدة الاهداف والاسلوب.

على الرغم من أن الوعي يعد جوهر الموقف الفينومينولوجي لدى هوسرل إلا أنه لم يوضح مفهومه للوعي بشكل واضح. فقد تناول الوعي بوصفه ظاهرة إنسانية تكمن فيه القصديّة القائمة على ادراك الذات لموضوع

الواقع الكائن ذات الابعاد الحسية. مفهوم القصدية، المدرك في نطاقه غير المحدد، كما توقعناه، هو مفهوم أساسي لا غنى عنه تمامًا وهو نقطة البداية... للفينومينولوجيا.

إن مفهوم هوسرل عن القصدية مفهوم ايجابي قائم بذاته لأن الذات الواعية لديه تقصد إلى هذا الوعي وتسعى إليه خلال عملية الربط بين الذات والموضوع. وهذا ما يمثل نقطة الاتفاق بين ديكرت وهوسرل هو ما يعرف بـ"الكوجيتو الديكارتي".

Abstract

Phenomenology is a term that denotes a science and a system of scientific fields, but phenomenology also originally denotes a method and a position of thought, the position of philosophical thought and the philosophical method in particular. The subject of phenomenology is the essence, which serves as the basis of the thing and its immutable truth, and therefore it is limited first and foremost to the process of describing the essence. From this point of view, the philosophy of phenomenology stands in conflict with the philosophy of the nineteenth century AD in the West again, a philosophy that did not recognize the existence of entities and can not be known.

Husserl's phenomenology is the last strong manifestation of a cognitive axiom based on the alliance between philosophy and mathematics. Philosophy represents the state of the system as a whole as a unit, while mathematics presents to it the principles of reducing things to hypostases. An object in its manifestations becomes the expression of a unity that finds its reason for existence in the principle of the numerical and reductive system. Numbers allow an object to reduce the multiplicity of an object to a unity of thought.

Husserl is trying to ensure that philosophy has an independent basis of its own, but here he is trying to derive this basis that he is looking for from mathematics, and this contradicts the idea of philosophical independence, so it would have been better for Husserl to provide us with the philosophical basis from the womb of philosophy itself without exposure to other sciences, especially since he believes that philosophy represents a state of complete harmony. Since he cannot use the methods of Natural Science for his phenomenological project, Husserl then develops his own method that will make the study of consciousness accurate.

Husserl's phenomenology is limited by what he imposed on himself in terms of the relationship that exists between the format of philosophy and the axioms of mathematics. This reflects his concept of the phenomenon of consciousness, which made him stop his account of phenomenology, which made his vision of consciousness narrower than Descartes's, although both of them made consciousness the first step towards philosophy, but Husserl looks from the framework of axioms for granted, while Descartes goes stop the approach of total doubt, hence the difference between them comes despite the unity of goals and style.

Although consciousness is the essence of Husserl's phenomenological position, he did not clearly explain his concept of consciousness. He treated consciousness as a human phenomenon in which the intentionality based on self-perception of the object of the existing reality lies with sensory dimensions. The concept of intentionality, realized in its indefinite scope, as we expected, is a completely indispensable basic concept and is the starting point... For phenomenology.

Husserl's concept of intentionality is a positive concept that stands on its own because his conscious self means to this consciousness and seeks it during the process of connecting the self and the subject. This represents the point of agreement between Descartes and Husserl is what is known as the "Cartesian Cogito."

تمهيد:

الفلسفة الظاهراتية مذهب فكري فلسفي يرجع إلى الفيلسوف الألماني "إدموند هوسرل" ويقوم المذهب على دعائم الظواهر القائمة على عملية الوعي والتي تنشأ بشكل كامل في أفعال الفكر الإنساني . ولهذا يجب أن تكون موضع الاهتمام بالدرجة الأولى لدى المفكرين والفلاسفة، وبالتالي يجب علينا استبعاد هذه الظواهر من اصدار الاحكام عليها. ولهذا يحاول هوسرل أن يطرح مصطلح "الفينومينولوجيا" بالطريقة التي تتناسب مع رؤيته الخاصة. ولهذا نحاول أن نتساءل ما المقصود بالفينومينولوجيا ووفقاً لهوسرل وهل هو مفهوم مرادف لعلوم الأخرى؟ وكيف حاول هوسرل أن يقدم الفلسفة في إطار نسقى خاصاً بها؟ وكيف حاول تطبيق منهج الرياضات على الفلسفة وما هدفه من ذلك؟ وهل هذا يمثل تعارض لديه؟ وكيف استفاد من رؤية كانط، وما موضع الاختلاف معه؟ وهل كانت هناك رؤية مشتركة مع ديكارت ما مصدر ولماذا الاختلاف؟ وكيف أثر برينتابو على هوسرل وكيف قدم رؤية مغايرة وما الدافع لها؟ كل هذه التساؤلات هي موضوع دراستنا الحالية التي نطرح خلالها طرح الإجابات عن هذه التساؤلات.

علم الظواهر والقصدية

لاحظ هوسرل في كتابه الظواهر وأزمة الفلسفة ، أن المسار الذي اتبعته الفلسفة خلال فترته يجعل من المستحيل على الفلسفة أن تدرك ما يُقصد به، أي أن تصبح «العلم الأكثر دقة». كتب وهكذا فإن الفلسفة، وفقاً لغرضها التاريخي، أرفع العلوم وأكثرها دقة، تمثل مطلب البشرية الذي لا يمكن فصله عن المعرفة البحتة والمطلقة... غير قادرة على اتخاذ شكل العلم الدقيق.

في تحليل هوسرل، يرجع ذلك أساساً إلى الاعتقاد الخاطئ بأن الفلسفة، لتكون انضباطاً مشروعاً ومحترماً، يجب أن تسعى جاهدة من أجل الموضوعية العلمية خلال اعتماد أساليب العلوم الطبيعية. هذا الاعتقاد هو ما يسميه هوسرل الطبيعية⁽¹⁾. وهنا يبدو لنا من اللحظة

⁽¹⁾ Mabaquiao, Napoleon Jr. M. Husserl's' theory of intentionality. Philosophia: An International Journal of Philosophy 34 (1), 2005, P. 24-49.

الأولى أن موقف هوسرل مرتبك بشكل واضح فمثلا تجد أنه اراد أن يقوم حد فاصلا بين الفلسفة والعلوم الطبيعية، ومن الواضح أنه يحاول أن يهدم أساس العلوم الطبيعية لصالح الفلسفة. وهذا ما قد يؤدي إلى وقوع هوسرل في التناقض لأنه كيف له أن يقلل من درجة الصدق لدى العلوم الطبيعية، في الوقت نفسه يحاول أن يطبق منهج العلوم الطبيعية على الفلسفة. مع الوضع في الاعتبار أن المنهج المتبع في أي علم من العلوم هو جزء من طبيعة هذا العلم.

الفيينومينولوجيا أو فلسفة الظاهريات تحددت بوصفها منهجاً على يد هوسرل، ولكن ليس هو مخترع هذا المصطلح كما ذكر "أير" في كتابه "الفلسفة في القرن العشرين" قائلاً "إن اعتقاده في أولية الظواهر أدّى إلى اختراعه لمصطلح "فلسفة الظاهريات"⁽¹⁾.

وعلى وهذا أن هوسرل يحاول أن يضمن للفلسفة أساس مستقل بذاته إلا أنه هنا يحاول أن يستمد هذا الأساس الذي يبحث عنه من الرياضيات، وهذا يتعارض مع فكرة الاستقلالية الفلسفية، فكان من الأفضل لهوسرل أن يقدم لنا الأساس الفلسفي من رحم الفلسفة ذاتها دون التعرض لعلوم الأخرى وخاص أنه يرى أن الفلسفة تمثل حالة النسق الكامل. ولعل ما ذهب إليه هوسرل يرجع في المقام الأول إلى مفهومه لفيينومينولوجيا التي يرى أنها عبارة عن علاقة بين الرياضيات والفلسفة، ولكن حتى هذا القول يجعلنا نقول أن هوسرل هنا اخضع الفلسفة لرؤيته لمفهوم الفيينولوجيا وهذا بدوره ينفي النسقية التي نسبها للفلسفة "الفيينومينولوجيا: مصطلح يدل على علم وعلى نظام من الميادين العلمية، غير أن فيينومينولوجيا تدل كذلك وفي الأصل على منهج وعلى موقف للفكر، موقف الفكر الفلسفي بخاصة والمنهج الفلسفي بخاصة"⁽²⁾.

(1) الفريد جولدس أير: الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة بهاء درويش، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، (دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2005، ص358.

(2) ادmond هوسرل: فكرة الفيينومينولوجيا، ترجمة فتحي انقزو، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، ص56.

وليس من السهل أن نجد تعريفاً جامعاً مانعاً للفينومينولوجيا، ولكن يمكن أن نبرز لها سمتين أساسيتين، بصفة عامة إنها منهج ينحصر في وصف الظاهرة، أو في وصف ما هو "معطى" على نحو مباشر.

إن موضوع الفينومينولوجيا هو الماهية التي تعد بمثابة أساس للشئ وحقيقته الثابتة، ولذلك فهي تنحصر أولاً وبالذات في عملية وصف الماهية. ومن هذه الوجهة فإن الفلسفة الفينومينولوجيا تقف في تعارض مع فلسفة القرن التاسع عشر الميلادي في الغرب مرة أخرى، وهي الفلسفة التي لم يكن تعترف لا بوجود ماهيات ولا بإمكان معرفتها⁽¹⁾.

يعتقد هوسرل بقوة أن الطبيعة ليست الطريق المناسب لرفع مكانة الفلسفة إلى مكانة العلم الدقيق. بدلاً من ذلك، تتجه الفلسفة، باتباع أساليب العلوم الطبيعية، نحو هلاكها. ووفقاً لهوسرل، هذا لأن العلوم الطبيعية نفسها ليست دقيقة بعد. كما يوضح هوسرل: "كل العلوم الطبيعية ساذجة فيما يتعلق بنقطة انطلاقها. والطبيعة التي ستتحقق منها تكمن في ذلك ببساطة". وبالتالي، فإن العلوم الطبيعية لا تنتقد افتراضاتها، لأنها تقبل دون بحث مسبق حقيقة الطبيعة أو العالم المادي، وهو موضوع البحث. النقطة هنا ليست أن الإيمان بواقع الطبيعة مشكوك فيه للغاية، أو أنه خاطئ، ولكن العلم الدقيق يجب أن يضع مثل هذا الإيمان أولاً في أرضية ثابتة أو آمنة. من بين العلوم الإنسانية، يعتبر هوسرل علم النفس التجريبي أو العلمي هو الذي يسير في الاتجاه الصحيح في دراسته للوعي. في هذا الصدد، يتبع هوسرل بشكل أساسي وجهة نظريديكارت بأن الوعي هو نقطة البداية المناسبة للتفلسف. ولكن نظراً لأن علم النفس التجريبي يستخدم أيضاً أو يحاول تبني أساليب العلوم الطبيعية، فإن مثل هذا التخصص أيضاً لا يصل إلى حد الدقة⁽²⁾.

تعد فينومينولوجيا هوسرل آخر تمظهر قوي لبديهية معرفية قائمة على التحالف بين الفلسفة والرياضيات. فالفلسفة تمثل حالة النسق ككل باعتباره وحدة، في حين أن الرياضيات تقدم له مبادئ اختزال الأشياء إلى اقانيم. فالكائن في تمظهراته يصبح التعبير عن وحدة تجد

(1) ألفريد جولس أير، ص 220.

(2) Mabaquiao, N, P. 3.

سبب وجودها في مبدأ النظام العددي والاختزالي. فالأعداد تسمح لكائن باختزال تعددية الكائن إلى وحدة للفكر. فهذه الطريقة التي أسسها أفلاطون نجدها عند كل من ديكارت وهوسرل أي نجدها في الفلسفات (التي لها أولوية المنهج) التي تزيل الفرق بين الموضوع والفكرة. على كل حال نجد في الفينومينولوجيا معنى جديد لأولوية المنهج يختلف عن الفلسفات السابقة؛ ذات صيرورة معرفية متجذرة في صيرورة اجتماعية ذات طابع هيمني⁽¹⁾.

على هذا نجد هوسرل يحاول أن يضمن للفلسفة أساس مستقل بذاته إلا أنه هنا يحاول أن يستمد هذا الأساس الذي يبحث عنه من الرياضيات، وهذا يتعارض مع فكرة الاستقلالية الفلسفية، فكان من الأفضل لهوسرل أن يقدم لنا الأساس الفلسفي من رحم الفلسفة ذاتها دون التعرض لعلوم الأخرى وخاص أنه يرى أن الفلسفة تمثل حالة النسق الكامل. ولعل ماذهب إليه هوسرل يرجع في المقام الأول إلى مفهومه لفينومينولوجيا التي يرى أنها عبارة عن علاقة بين الرياضيات والفلسفة، ولكن حتى هذا القول يجعلنا نقول أن هوسرل هنا اخضع الفلسفة لرؤيته لمفهوم الفينولوجيا وهذا بدوره ينفي النسقية التي نسبها للفلسفة. نظرًا لأنه لا يستطيع استخدام أساليب العلوم الطبيعية لمشروعه الفينومينولوجي، يقوم هوسرل بعد ذلك بوضع طريقته الخاصة التي ستجعل دراسة الوعي دقيقة. يطلق على طريقته اسم "رد فينومينولوجي"، وهي عمومًا عملية تعلق المعتقدات حول السمات العرضية للظواهر (أو أهداف التحقيق الفينومينولوجي، والتي تشمل الوعي وأهدافه) بحيث يركز التحليل على السمات العرضية للظواهر. دعا هوسرل هذه العملية بأسماء مختلفة: "الأداء epoche" و"وضع الافتراضات المسبقة بين قوسين" و"تعليق الأحكام". هذه الطريقة هي في الأساس تطور من الشك المنهجي الديكارتية. كما سبق ذكره، يتبع هوسرل ديكارت في جعل الوعي نقطة البداية للتفلسف؛ فقط أن تحقيقات ديكارت لم تكن دقيقة بما فيه الكفاية. على سبيل المثال، يؤدي شك ديكارت المنهجي بشكل أساسي إلى إنكار حقيقة العالم المادي، وهو بالفعل حكم في حد ذاته. بالنسبة لهوسرل، فإن النهج الدقيق حقًا هو النهج الذي لا يؤكد أو ينكر مثل هذه

(1) وشن دلالي، القصيدة من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية،

الحقيقة، ولكنه يعلق فقط الحكم على مثل هذه الحقيقة. بالإضافة إلى ذلك، فإن ديكرت، في نفي حقيقة العالم المادي، يواجه تناقضاً. لأنه بينما يشك في حقيقة العالم المادي، فإن إطار ديكرت في تحليل طبيعة الوعي لا يزال يفترض مثل هذا الواقع. يتجلى هذا في رأي ديكرت أنه بصرف النظر عن سمة الفكر، يتم تعريف الوعي خلال سمة عدم التمديد، وهي السمة المميزة للعالم المادي⁽¹⁾.

إن الفينومينولوجية لدى هوسرل مقيدة بما فرضه هو على ذاته من حيث العلاقة القائمة بين نسق الفلسفة وبديهيات الرياضيات. وهذا يعكس مفهومه لظاهرة الوعي التي جعلها وقفاً لرويته للفينومينولوجية مما جعل رؤيته للوعي اضيق من رؤية ديكرت رغم أن كل منهما جعل من الوعي الخطوة الأولى نحو التفلسف ولكن هوسرل ينظر من إطار بديهيات المسلم بها في حين أن ديكرت يسير وقفاً لمنهج الشك الكلي، ومن هنا يأتي الاختلاف بينهما رغم وحدة الاهداف والاسلوب.

لقد نقل هوسرل طبيعة العلاقة التي تربط الذات بالموضوع. من مستوى وصفي إلى مستوى ترنسندنتالي، تقاطع في المستوى الأول مع ديكرت "في الكوجيتو" أنا أفكر إذا أنا موجود"، ثم انتقل إلى مستوى ثانٍ مقوم يقضي بأنني أفكر في شيء إذا أنا موجود، من منطلق أن الوعي بالأشياء هو تعبير عن وجودنا، إذن فالمعنى الكلي لما هو موجود مشتق من القصديّة الإنتاجية أو - العملية حياة الشعور، ولقد توصل هوسرل انطلاقاً من قناعاته بهذه الحقيقة، إلى استنتاج فلسفة كاملة تخص المعرفة الراديكالية للذات، ذلك أنه ما دامت كل معرفة متعلقة بالموضوعية متضمنة في معرفة الذات، فإنه يصير من الواجب علينا تجاوز هذا النسيان للذات⁽²⁾.

هنا ندرك بشكل واضح مدى تأثير ديكرت على هوسرل، إلا أنه يبدو من غير الواضح في مذهبه هو أنه ربط بين الذات والموضوع واطلق على هذه الحالة "القصديّة" دون أن يوضح

⁽¹⁾ Mabaquiao, N, P. 3.

⁽²⁾ ناديت بونفكة: فلسفة إدموند هوسرل، نظرية الرد الفينومينولوجي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص 132.

كيف تم هذه العملية في إطار الوعي البشري، كما أنه لم يوضح لنا هل وجود الذات والموضوع معًا تعني بالضرورة الوعي الذي على أساسه تكون القصيدة؟

يأتي الرد الفينومينولوجي لهوسرل، وفقًا لقراءة علماء مثل سميث وماكنتاير Smith and McIntyre ، على ثلاث مراحل: أولاً، الرد السيكلوجي ؛ وثانياً، الرد المثالي ؛ وثالثاً، الرد التخيلي. الهدف من الرد السيكلوجي هو قصر تحليل الظواهر على جوهرها (أو "مظهرها") في الوعي، بغض النظر عن أشكالها المحتملة أو علاقاتها خارج الوعي. يتم ذلك عن طريق تعليق أو تقسيم الأحكام حول العالم من وجهة النظر الطبيعية. يشير هذا العالم إلى العالم السابق للفلسفة، ويتضمن جميع معتقداتنا المنطقية حول العالم من حولنا. على سبيل المثال، عندما ندرك أشخاصًا آخرين، هناك مجموعة من الافتراضات التي تتماشى مع هذا التصور. نعتقد أنهم موجودون بشكل مستقل عن تصورنا لهم، وأنهم من أنواع معينة، مثل كونهم أعدائنا أو أصدقائنا، وكونهم من جنسية معينة، وغيرهم كثير. لكن كل هذه الافتراضات لم تخضع للتدقيق الفلسفي، نحن فقط نفترضها كمسألة بالطبع. في قلب هذا العالم ما قبل الفلسفي، وفقًا لهوسرل، توجد أطروحة عامة مفادها أن أهداف الوعي موجودة بشكل مستقل عن الوعي. نفترض العلوم الطبيعية الأطروحة العامة بالطبع، ولهذا السبب لم تكن دقيقة بعد⁽¹⁾.

كان هدف هوسرل محاولة تأسيس معرفة فلسفية وعلمية آمنة، ولذا أدرك أن نقطة انطلاقه يجب أن تكون الوعي، لأنه بدونها، لا يمكن تحقيق أي شيء أكثر فيما يتعلق بالمعرفة. كما أدرك أن هناك عقبات أمام الأوصاف الدقيقة ولذا اخترع بعض الاستراتيجيات للمساعدة في تحقيق أوصاف حذرة ودقيقة. تتضمن طريقة هوسرل ثلاث خطوات: (أ) يفترض المرء الموقف الفينومينولوجي المتعالي، (ب) يجلب المرء إلى الوعي مثلاً للظاهرة التي يجب استكشافها، سواء كانت فعلية أو خيالية، وبمساعدة التنوع الخيالي الحر، يستشعر المرء جوهر الظاهرة التي يتم التحقيق فيها، و (ج) يصف المرء بعناية الجوهر الذي تم اكتشافه.

⁽¹⁾ Mabaquiao, N, P. 4.

لهذا فإننا نقول على الرغم من أن الوعي يعد جوهر الموقف الفينومينولوجي لدى هوسرل إلا أنه لم يوضح مفهومه للوعي بشكل واضح. فقد تناول الوعي بوصفه ظاهرة إنسانية تكمن فيه القصدية القائمة على ادراك الذات لموضوع الواقع الكائن ذات الابعاد الحسية.

مع أن منهج هوسرل، الخطوة الرئيسة هي الخطوة الأولى - افتراض الموقف الظاهري المتعالي. إن افتراض المنظور المتعالي يعني تبني موقف الوعي الذي يتجاوز التوجه نحو النمط البشري للوعي والذي يكون أيضاً خالياً من الافتراضات الدنيوية والتجريبية. أن تكون في الموقف الظاهري يعني شينين: الأداء epoché (أو "الأقواس") والرد إلى الذات، الذي يمتنع عن افتراض وجود كل ما يتم تقديمه. إن وضع قوس يعني تنحية كل المعرفة بالظاهرة التي يجري استكشافها أو التحقيق فيها والتي لا تعزى إلى الحالة الفعلية لهذه الظاهرة. وبالتالي فإن جميع المعارف السابقة المستمدة من القراءات أو المصادر الثانوية الأخرى، وكذلك التجارب الشخصية السابقة للفرد مع هذه الظاهرة، من المفترض استبعادها. يشير الرد إلى حقيقة أنه يتعين على المرء الامتناع عن افتراض وجود ما يتم مواجهته كما يحدث عادة في الموقف الطبيعي. يعتبر المرء ما هو معطى، حتى لو كان حقيقياً، ببساطة شيئاً حاضراً لوعي المرء دون التأكيد على وجوده بالطريقة التي يقدم بها نفسه. من المفترض أن يكون شيئاً حاضراً لوعي المرء - ظاهرة وليست حقيقة. إنه رد من الوجود إلى الوجود⁽¹⁾.

إلا أننا لنا وقفة، فنقول أن هوسرل لم يحاول أن يفسر لنا أيضاً ماذا يقصد بالمصادر الثانوية ولا المصادر الأولية التي يعول عليها في العلمية المعرفية ؟ فهل كان يقصد أنه حالة إقتران الذات الواعية مع الموضوع تصبح معرفة ذات مصادر أولية ، وفي حال عدم الاقتران تصبح معرفة ذات مصادر ثانوية ؟ وكذلك لم يوضح لنا هل يمكن بمقدو الفرد الواعي أن يستبعد التجارب الشخصية السابقة ولا نغفل هنا أن هذه التجارب كانت نتيجة اقتران الذات مع الموضوع جوهر القصدية عند هوسرل.

⁽¹⁾ Amedeo Giorgi, Concerning the Phenomenological Methods of Husserl and Heidegger and their Application in Psychology, Saybrook Graduate School, P. 64.

لقد وصف هوسرل الفينومينولوجيا في بدايتها بأنها "علم جديد لم يصل معاصروه إلى تصور مداه الواسع، صحيح أنه علم للوعي (الشعور)، لكنه مع ذلك ليس علماً للنفسي، الذي هدفه إقامة علم لظواهريات الوعي أو الشعور في مقابل علم ل طبيعى عن الوعي أو الشعور، ولا بد أن نتوقع مقدماً أن يكون . علم الظاهريات و علم النفس مرتبطاً كل منهما بالآخر على نحو وثيق، من حيث أن كليهما يهتم بالوعي، حتى وإن كان ذلك اهتماماً يتم بطريقة مختلفة ووفقاً لوجهة نظر مختلفة"⁽¹⁾. وفعلنا النفس يدرس الوعي خلال معطيات طبيعية، فهو - يدرسه كأنه موضوع objet موجود في الطبيعة يمكن التجريب عليه مادياً، بينما ينظر الفينومينولوجي إلى الوعي الخالص من حيث دراسته كظاهرة لها خصائصها الترسندنتالية المحضة.

لعل هنا يبدو أن ما قدمه هوسرل هو فعلاً وصف للفينومينولوجيا الخاص به ومع هذا يظل وصف قاصر. كما أنه لم يقدم تعريف قائم بذاته وإنما تناوله لموضوع كان بشكل عام غير محدد.

إن استخدام التنوع الخيالي يعني أن المرء يختلف بشكل خيالي في جوانب مختلفة من الظاهرة التي يوجد فيها المرء من أجل تحديد الجوانب الأساسية لمظهر الظاهرة وأنها محتمل. إذا كان القضاء الخيالي على جانب ما يتسبب في انهيار الظاهرة، فهذا الجانب ضروري. من ناحية أخرى، إذا كان الاختلاف في جانب معين بالكاد يغير ما هو معروض، فإن هذا الجانب ليس ضرورياً. بمجرد تحديد السمات الأساسية للظاهرة، يتم وصفها بعناية. هذا يعني أنه لا يمكن إضافة أي شيء إلى ما هو موجود بالفعل للوعي أو طرحه منه. المهمة التصويرية مهمة صارمة.

يمكن نقل كل سمة من سمات الطريقة المذكورة أعلاه إلى المستوى النفسي باستثناء اعتماد الموقف المتعالي، على الرغم من أنه يجب إضافة تعديلات أخرى، من أجل إجراء البحث بطريقة نفسية ظاهرية. بدلاً من الرد المتعالي، يتم إجراء الرد السيكلولوجي الفينومينولوجي، والذي يعترف هوسرل بأنه تنوع مشروع. وهذا يعني أنه في حين أن أهداف الوعي لا تزال تعد ظواهر، ك الوجود، فإن أفعال الوعي التي ترتبط بها يُنظر إليها على أنها تنتهي إلى وعي إنساني

⁽¹⁾ ادموند هوسرل: الفلسفة علماً دقيقاً، ترجمة محمود رجب، المجلس الأعلى للترجمة، القاهرة، 2002، ص 14.

متصل بالعالم. بعبارة أخرى، يتم تفسيره على أنه وعي يتأثر بالعالم والجسد وهو شرط الوعي على المستوى السيكلوجي للأداء⁽¹⁾.

هنا يظهر لنا أن الوعي الذي يقصده هوسرل قد يكون وعي مادي متصل بالعالم الخارجي وليس وعي مجرد. وهذا يظهر أن الوعي كظاهرة لدى هوسرل يبدأ من الواقع المادي. فهل معنى هذا وعلى حسب وصفه تكون الفلسفة التي جعل الوعي نقطتها الأولى، فلسفة ذات الطابع العلمي ؟

الوعي عند هوسرل فعل ولا يظهر إلا في صورة فعل أو نشاط أو وظيفة أو حركة؛ فهو عنده متحرك دائما وليس ملكة ذات وظيفة ثابتة محددة، وهذا ما أدى بهوسرل إلى القول باختلاف بينه وبين كانط، لأن الوعي عنده ليس ملكة على شاكلة الملكات المعرفية الكانطية؛ ولا يقسم هوسرل الوعي إلى ملكات متميزة كما فعل كانط، وهذا ما دفع هوسرل إلى الحكم على نظرية كانط في المعرفة بأنها ذات نزعة سيكلوجية لأنها ترد المعرفة إلى ملكات في الذهن البشري. لكن الحقيقة أن كانط قسم العقل الإنساني إلى ملكات على سبيل الشرح والتقريب وكطريقة في عرض نظريته في المعرفة التي اختلفت عن سابقتها وكأسلوب مبسط في تقديم الأفكار وفي التحليل، ذلك لأن كانط لم يعالج أبداً ملكات المعرفة على أنها أعضاء فسيولوجية في الذهن. وعندما نتجاوز الاختلاف بين ملكات المعرفة عند كانط وأفعال الوعي عند هوسرل ونركز على التحليلات العينية للمعرفة عند كل منهما سوف يتضح مدى التقارب⁽²⁾.

التعديلات التي يجب إضافتها إلى المنهج الهوسرلي للأغراض النفسية هي:

(أ) يتم الحصول على الأوصاف التي يتعين تحليلها من الآخرين، الذين يظلون ضمن

الموقف الطبيعي، لكن الباحث يفترض بالفعل الرد السيكلوجي الفينومينولوجي

⁽¹⁾ Amedeo Giorgi, P. 64.

⁽²⁾ أشرف منصور ،عناصر التحليل، ص18. تاريخ الدخول عليه 15\8\2022.

<https://www.academia.edu/8226782>

(ب) يحاول المرء تحديد الجوهر السيكلوجي للظاهرة بدلاً من جوهرها الفلسفي - أو أن المنظور السيكلوجي يُعتمد أولاً ثم يتم تحديد الجوهر، أو هيكل المعنى الأكثر ثباتاً لسياق معين، فيما يتعلق بهذا المنظور

(ج) الاختلافات الخيالية المستخدمة تتم في حوار مع الاختلافات التجريبية الواردة في البيانات الوصفية

(د) يعد الهيكل الوصفي الذي يتم اكتشافه ووصفه نموذجياً وليس عالمياً. وجميع التعديلات المذكورة هي استجابات لمتطلبات الممارسات العلمية المعاصرة.

أن الطابع الفينومينولوجي للمنهج المستخدم في السيكلوجيا واضح إلى حد ما. إنه يتبع هوسرل بأكبر قدر ممكن من الدقة: فهو يستخدم الحدس، وهو وصفي، ويعترف الوصفية العيدية ويستخدم الرد قبل المتعالي جنباً إلى جنب مع الاختلاف الخيالي⁽¹⁾.

الحدس المقولي عند هوسرل هو القدرة على إدراك العام والكلي المتضمن في المحسوسات في عملية الإدراك الحسي. يذهب هوسرل إلى أن هناك فرقاً بين إدراك اللون الأحمر بوصفه لوناً جزئياً متصفاً به شيئاً مفرداً، وإدراك اللون الأحمر بوصفه أحمرّاً بوجه عام، بوصفه نوعاً؛ إدراك اللون الأحمر في شئ معين يختلف عن إدراك كون الأحمر لوناً، أو نوعاً نوعاً يندرج تحته أفراداً عديدين أو أشياء كثيرة تتصف باللون الأحمر.

كما يعني الحدس المقولي عند هوسرل أن الكليات تشاهد أو تحدس في الإدراك الحسي نفسه. ففي إدراكنا لكروسي أحمر ندرك أن الأحمر هذا لون تتصف به أشياء كثيرة غير الكروسي، وبالتالي ندرك أن الكروسي يتصف بشئ كلي وأنه جزء جزء من مجموع ما يضم الأشياء المتصفة باللون الأحمر.

يذهب هوسرل إلى أن هناك علاقة تبادلية بين الإدراك الحسي والحدسي المقولي، فالاثنتان يؤسسان بعضهما البعض: حدس المقولة هو الذي يمكن الإدراك الحسي من معرفة ملامح وصفات وأجزاء الشئ بما أن هذه الأجزاء ليست مستقلة بل هي أجزاء لكل، وكذلك

⁽¹⁾ Amedeo Giorgi, P. 65.

الإدراك الحسي هو الآخر يؤسس الحدس المقولي بما أن هذا الإدراك الحسي هو الذي يعطي الأجزاء التي يظهر فيها الكل للحدس المقولي⁽¹⁾.

هنا يلزمنا القول بأن ما أشار إليه هوسرل في الفقرة السابقة يكفى ليدرك المرء أن عملية الوعي لديه قد تعتمد في المقام الأول على شيئا من البديهية. لأنه من المسلم به أن العقل الإنساني بدراكه الحسى يستوعب إن هناك فاصلا بين صفه الشئ الأساسية وصفته عندما يصيح جزء من شئ آخر، هذا ما أشار إليه هوسرل من أن اللون معروف كذات قائم بذاته، من اللون من حيث تحول إلى رمزية إلى شئ آخر.

أحد أسباب ظهور الفينومينولوجيا الهيرمينوطيقية، بأسلوبها الخاص، هو أن هيدجر بدا وكأنه يقبل، جزئيا على الأقل، نقد ناتورب Natorp للتفكير. ونتيجة لذلك، كان لديه الدافع لإيجاد طريقة غير موضوعية لتفسير أنشطة الوعي. ومع ذلك، أظهر زهافي Zahavi أن استراتيجيات هيدجر لم تأخذه خارج نطاق التفكير وأيضاً أنه ليس من الضروري أن تنتهي جميع الإجراءات التأملية بالتجديد. ويخلص زهافي في نهاية المطاف إلى أن التمييز بين الطريقة الهيرمينوطيقية الهيدجرية وطريقة الظواهر الانعكاسية الهوسرلية هو تمييز زائف، على الأقل فيما يتعلق بالقابلية للإنعكاس.

قد يكون ما يقوله زهافي صحيحاً على المستوى الفلسفي، لكن التمييز ينتقل إلى السيكلوجيا مع اختلافات حقيقية، كما رأينا أعلاه. يبدو أن معظم فلسفة هيدجر مدفوعة بتركيزه الشديد على مسألة الوجود. وبالتالي، إذا كان المرء مهتماً بهذا السؤال وكان أحدهم يتبع هايدجر فلسفياً، فمن المحتمل أن يكون المرء على المسار الصحيح. ومع ذلك، لمحاولة تكييف الفكر الهيدجري مع مستوى السيكلوجيا، سيتعين على المرء العمل خلال الدور الثقيل الذي يقوم به كونه في فكره. التحليلات السيكلوجية ليست أنطولوجية ويبدو أنه يتعين على الباحث السيكلوجي معرفة الآثار المتتالية لإزالة التركيز على الوجود في اتباع نظرية هيدجر. بالإضافة ذلك، فإن عدم وجود رد في الإجراءات الهيدجري يضمن تقريباً ضرورة اتباع الإجراءات التفسيرية

(1) أشرف منصور، ص 21.

لأن الوعي الدنيوي للباحث لا يتم تنقيته بأي شكل من الأشكال، وبالتالي يجب أن تكون الثقة في النتائج ضعيفة.

هذه ليست مشكلة في الظواهر الهوسرلية. تم تصميم نظرية هوسرل للتعامل مع أي نوع من الأشياء وطريقة ظهوره هي الأساس الذي يجب أن تستند إليه إجراءات التحقيق. في رأيي، هذا هو النوع المفضل من الظواهر وتكيفها مع السيكلوجيا أنظف بكثير⁽¹⁾.

في الواقع، هناك طريقتان للتحدث عن قصدية الأفعال أو التجارب المتعمدة. ويتمثل أحدهما في التأكيد على صفة التصرفات المتعمدة تجاه الكيانات من نوع معين. والآخر هو وصف العلاقة المتعمدة بين الفعل والكائن بالاعتماد على الخصائص الظاهرية للعلاقة. من الممكن القول إنه ربما لا يكون من الصحيح تسمية العلاقة المتعمدة بعلاقة حقيقية بين فردين. لذلك، أتوصل إلى فكرة أن المرء قد يفترض التفريق بين العلاقات المتعمدة والعلاقات الأخرى. ويبدو أن التوصيف الملائم للاختلاف يتوقف على النوع الأنطولوجي للكائن الذي يوجه إليه الفعل المتعمد. على الرغم من ذلك، صحيح أن العلاقة المتعمدة هي نوع من العلاقة التي تتطلب دائماً أسهام جزء واعي من الموضوع أو التجربة، أي الوعي. كما يشير سميث وماكنتاير إلى أن العلاقات المتعمدة تختلف عن العلاقات غير المقصودة أو العادية. يعتمد الاختلاف، بشكل أساسي، على الحالة الأنطولوجية للأشياء التي توجه عليها أفعال العلاقة. من نقطة علاقات هوسرل المتعمدة موجهة إلى الأشياء المادية أو الأفراد الملموسين. لكن كثيرين آخرين افترضوا أن ما يميز العلاقات المتعمدة هو أنها موجهة نحو أشياء غير عادية تختلف تماماً عن الأشياء العادية⁽²⁾.

على هذا يمكننا القول بأن القصدية قدمت لنا القصدية طريقتان للتحدث عن الأفعال أو التجارب، إلا أنها اغفلت طريقة ثالثة هو طريقة تعتمد على الذات الواعية الظاهرة وبين الأشياء الجامدة أو الجماد فمثلاً يمكننا القول أن هناك علاقة قائمة بين الذات العقلية

⁽¹⁾ Amedeo Giorgi, P. 73.

⁽²⁾ Servet Gözetlik, Husserl's Conception of Intentionality, Phenomenological Analysis of Noesis and Noema, A Thesis Submitted to The Graduate School of Social Sciences of Middle East Technical University, September 2003, P. 26.

البشرى الواعى وبين ادراكه وجود لصخرة ما فتحول الوعى إلى ذات وتتحول الصخرة إلى موضوع لأن هوسرل ذكر أن الفينومينولوجية تعنى علاقة بين الذات والموضوع. ولم يحدد هل هذا الموضوع كائن مادي دائما أما قد يكون جمادًا. وفي تصوري أن هوسرل أن يهدف إلى أن يكون الموضوع جامع بين المادى الواقعى وبين الجماد حتى تكون عملية القصديّة عملية شاملة غير قاصرة على إدراك الإنسان المادى فحسب، لأنه لو كان كذلك هذا سوف يجعل النظرية ناقصة لأنها لم تتطرق إلى إدراك الجمادات .

لقد قام هوسرل بتحليل ظاهراتي تأملي التجارب ذهنية أو أفعال ذهنية، حيث رأى أن تحليل ظواهر ذهنية برؤية محايدة يستوجب صرف النظر عن المعنى المشترك (الشائع)، وذلك بقرار منهجي؛ أي تعليق الاعتقاد بوجود عالم خارجي مستقل عن التجربة ويملك بنية مستقلة عن معرفتنا. ولبلورة هذا الموقف، استخدم هوسرل المصطلح الإغريقي "مضمون الوعى" (Noema) ليصف الطابع التوجيى للأفعال الذهنية؛ فالنؤثيمات لا تشكل جزءا من عقل الذوات المفكرة، ولا جزءا من الموضوعات التي نفكر فيها، إنها بنيات مجردة تسمح بالعلاقة القصديّة بين الذات والموضوع. إنها ليست موضوعات تتجه إليها الحالات القصديّة، بل ما بواسطته تتوجه كل حالة قصديّة نحو موضوعها⁽¹⁾.

ذهب هوسرل إلى التمييز - على مستوى الوجود - بين محتوى الفعل الذهني وبين موضوعه؛ فمحتوى الفعل الذهني يوجد دائما في وقت ما من الزمن، أما موضوع الفعل الذهني فقد يوجد وقد لا يوجد. غير أن هذا التمييز بين المحتوى والموضوع غير كاف بالنسبة لهوسرل؛ لذلك أضاف إليه تمييزاً آخر بين "المحتوى المنطقي" و"المحتوى النفسي" ضمن الفعل الذهني؛ فالمحتوى المنطقي عبارة عن دلالة مجردة يمكنها أن تشكل محتوى أفكار عديدة ومختلفة، دون أن تكون مكررة؛ أما المحتوى النفسي فهو عنصر ذهني فردي يوجد فقط كجزء من الفعل الذي يوجد فيه. وهكذا فالدلالة هي التي تربط بين المحتوى المنطقي (الكوني والمثالي) وبين المحتوى النفسي الذي هو تحيين فردي لهذا المحتوى المثالي والكوني⁽²⁾.

(1) عبد الواحد المراتب، مفهوم القصديّة في الفلسفة، دار البيضاء، دار القلم العربى، 2019، ص.9.

(2) المرجع نفسه، ص.10.

هكذا يمكننا أن نرى أن الرد يتم على اثنين من تناقضات الوعي: الموضوع وهدف الوعي. يشار إلى البنية التي تحكم العلاقة بين الموضوع وموضوع الوعي باسم "القصدية". وبالتالي، فإن القصدية، بوصفها بنية ضرورية للوعي، هي «آثار فينومينولوجية»؛ بمعنى أنه ليس أمرا يمكن تعليقه أو إدراجه بين قوسين، لأنه هو الإطار نفسه الذي يتم فيه إجراء الرد. هذا، بشكل عام، هو المعنى الذي يشكل فيه تحليل طبيعة القصدية جزءاً لا يتجزأ من تحقيقات هوسرل الفينومينولوجية. وهذا يفسر أيضاً السبب في أن هوسرل يشير إلى "القصدية" على أنها "الموضوع الرئيس للظواهر".

مفهوم القصدية، المُدرَك في نطاقه غير المحدد، كما توقعناه، هو مفهوم أساسي لا غنى عنه تماماً وهو نقطة البداية... للفينومينولوجيا⁽¹⁾.

أدى هذا المصطلح دوراً مهماً في النقاشات المنطقية في فلسفة العصور الوسطى، حيث كان يستعمل بمعنيين، معنى عملي ومعنى تقني: معناه العقلي يتحقق حين يكون للشخص هدف (أو قص) فعل شيء، أما معناه التقني (غير العملي) فيعتين مفهومهما يمكن أن ينطبق على الأشياء غير الذهنية وعلى الخاصيات الذهنية أيضاً، أي على الأشياء الحاضرة في الذهن⁽²⁾.

القصدية لفظ تقني يستعمله الفلاسفة للإشارة إلى تلك القدرة في العقل التي من الحالات العقلية من الإشارة إلى، أو الكلام عن الأشياء والحالات الواقعية المغايرة عنها في العالم.. وهكذا، على سبيل المثال، إذا كان لدي معتقد فإنه يتعين على هذا المعتقد أن يكون معتقداً بشيء ما. وإذا كانت عندي رغبة فإنه يتعين على هذه أن تكون رغبة بفعل شيء ما، أو أن شيئاً ما يجب أن يحدث. وإن كان عندي إدراك فإنه يتعين علي أن أعتبر نفسي أنني أدرك شيئاً ما أو حالة واقعية في العالم. يقال إن جميع هذه الحالات حالات قصدية، بمعنى أنه في كل حالة تشير الحالة إلى شيء يتجاوزها. إن عملية القصد التي أمارسها في الحالات العادية،

(1) Servet Gözetlik, P. 5.

(2) عبد الواحد المرابط: مفهوم القصدية في تاريخ الفلسفة، ص 4.

عندما أقصد الذهاب إلى السينما هذا المساء، هو نوع واحد من أنواع القصصية، بالإضافة إلى أنواع أخرى، كالاعتقاد والأمل والخوف والرغبة والإدراك⁽¹⁾.

بناء على ماسبق، فالمعنى هذا بشكل واضح هو أن القصصية فعل إنسان بدرجة كاملة لأنها قائمة على الوعي وعلى علاقة الوعي بالاشياء المحيطة به. بالإضافة إلى هذا فكرة القصصية، بذلك يخرج من دائرتها السلوك الحيواني لأنه غير واعي. ولكن هذا بدوره يقودنا إلى تساؤل عن سلوك الإنسان الغاضب أو المتهور هل يقع ضمن دائرة القصصية؟ في الحقيقة أن هوسرل لم يقدم الإجابة عن هذا.

إن الحالات الذهنية التي تعرض القصصية - أي التي تتمثل القصصية - تسمى أحيانا "حالات قصصية". قد تربطنا هذه المصطلحات، لاسيما وأنه ليس الفلاسفة جميعا يستعملون المصطلحات بالطريقة نفسها. ولكن من الضروري أن نأخذ في اعتبارنا مفهوم القصصية، من حيث إنه يمثل نقطة البداية لغالبية الفلاسفة في محاولاتهم معالجة متاهة التمثيل⁽²⁾.

القصصية، هي اتجاهية. الحالات القصصية تمثل العالم بوصفه طريقا محددا. فكرة أن القمر بدر والحالة الإدراكية لرؤية القمر بدرا كلاهما حول القمر وكلاهما يمثل كون القمر بدرا. لذلك فكلاهما حالة قصصية، نقول إن المحتوى القصصية لكل من الفكر والحالة الإدراكية هو أن القمر بدر. وقد يكون المحتوى قصصية واحد تأثيرات سلوكية مختلفة، اعتمادا على علاقته بالشخص الذي لديه المحتوى. على سبيل المثال، قد يلهم الخوف من حدوث حرب نووية شخصا ما للعمل على الحد من التسليح، لكن الاعتقاد بأنه ستكون هناك حرب نووية قد يؤثر على شخص فمهاجر إلى أستراليا.

(لا تدع التهجنة تخدعك، فالقصد نوع واحد من حالة القصصية. الاعتقاد والتمني نوعان آخران). القصصية سمة مهمة كثير من الحالات العقلية، لكن كثير من الفلاسفة يرون أنها ليست "سمة العقلي". هناك أحاسيس جسدية، تجربة ذروة الجماع، على سبيل المثال التي تعد حالات عقلية أصيلة لكن ليس لها محتوى قصصية (حسنا، ربما يكون هناك القليل جدا

(1) جون سيرل: العقل، ترجمة ميشيل حنا ميتاس، عالم المعرفة، الكويت، 2007، ص 28.

(2) تيم كرين: الذهن الآلة، ترجمة يمني الخولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص 62.

من المحتوى القصدي في هذه التجربة، أي محتوى توجهه، لكن المحتوى الظاهري للتجربة، مثل الحصول عليها، من الواضح أن المحتوى القصدي لا يستنفده⁽¹⁾.

علينا هنا أن ندرك أن الفقرة السابقة عزلت الفعل عن النتيجة، فالأصل في القصدي هو الفعل العقلي وما يترتب عليه قد لا يخضع للقصدي وفقا للفقرة السابقة كمثال الذي اشرنا إليه اعلاه، ذروة الجماع ليست ضمن افعال القصدي كيف يكون هذا لم يكون هذا الاحساس في بدايته رغبة وشعر الإنسان بضرورة عقلية إلى اشباعها، فالوصول إلى الذورة هو احدى نتائج الفعل الإنساني العقلي الذي يتم اشباعه عن طريق الجسد فلما لا يمكننا جعله فعل تتوافر فيه شروط القصدي؟. قيس على ذلك كل الافعال التي تعقب الشعور او الحاجة إلى اشباعها. ولعل موضع القلق هنا الخوف من الجمع بين الإنسان والحيوان، فالحيوان يشبع رغبته، هل يمتلك بذلك القصدي؟ في الحقيقة وحتى في هذه الحالة لا يمتلك الحيوان القصدي؛ لأن القصدي الإنسانية هنا التي تتحكم في الطريقة والكيفية التي يتم اشباع هذه الرغبة بها في حين أن الحيوان لا يتحكم في ذلك وهكذا غابت عنه القصدي، أضف إلى ذلك إن الحيوان لا يفهم اصلا الهدف من اشباع رغبته في حين أن الإنسان يعي ذلك ويسعى إليه بأفعال معينة وبالتالي تتوافر القصدي.

كان للقصدي دور كبير في بناء المنهج الفينومينولوجي خلال اكتشاف هوسرل العاملين مهمين هما: الفعل القصدي والتحليل القصدي.

أما الفعل القصدي: فلقد اكتشفه هوسرل خلال تقسيمه للمعيش، حيث قسمه إلى خمس مركبات: "أولا: الفعل الذي يكون من خلاله الموضوع مرثيا، ونجد هوسرل يعبر عنه في الأفكار بمصطلح "النواز" Noése". ثانيا: المواقف المتعلقة بهذا الفعل، ثالثا: المادة القصدي التي تشكل هذا الفعل أي مضمونه، ونجد هوسرل كذلك يعبر عنه في "الأفكار"، بمصطلح "النوام" "Noéme"، رابعا: الملك الحدسي للرؤية "Lavision"، التي تعد خاصية فينومينولوجية

⁽¹⁾ نيد بلوك، العقل كبرمجيات للمخ، ضمن كتاب الخيال العلى والفلسفة، ترجمة: عزت عامر، تحرير سووزان شنايدر، العدد 1859، مشروع القومى للترجمة، القاهرة، 2011، ص 224-225.

صرفة ، و خامسا: الموضوع القصدي". و يمكن القول أن أهم ما يميز القصدية هو الفعل القصدي المرتبط بالموضوع القصدي⁽¹⁾.

لكن هوسرل اغفل جزء جوهرى هو الذات المتعلقة التى تعى كل هذه الاجزاء وتربطها مع بعضها البعض.

ترد التحقيقات المبكرة التى أجراها هوسرل بشأن طبيعة القصدية في تحليله لطبيعة وهيكـل "العمل" في التحقيقات المنطقية (1982). "الفعل" هو مصطلح هوسرل المفضل للحالة العقلية المقصودة. لتجنب الغموض المحتمل، سنستخدم بدلاً من ذلك مصطلح "الفعل العقلي" للإشارة إلى فعل هوسرل. في العمل نفسه، يحلل هوسرل الأفعال العقلية من حيث الفروق التالية: بين المحتوى الحقيقي والمحتوى المثالي، وبين الجودة والمادة المحتوى الحقيقي للفعل العقلي يشير إلى المحتوى المباشر للفعل العقلي وهو، لذلك، جزء من الفعل العقلي نفسه، بينما يشير المحتوى المثالي إلى المحتوى المتعالي للفعل العقلي وهو، لذلك، ليس جزءاً من الفعل العقلي. المحتوى المثالي، من ناحية، هو ما يوجه الفعل العقلي نحو شيء فعلي خارج الفعل العقلي. المحتوى الحقيقي، من ناحية أخرى، هو مجرد إثبات للمحتوى المثالي في فعل عقلي. وبالتالي، إنه المحتوى المثالي، وليس المحتوى الحقيقي، الذي يجعل الفعل العقلي مقصوداً.

فيما يتعلق بالفرق الثاني، تشير نوعية الفعل العقلي إلى نوع الفعل العقلي أو النمط السيكلوجي، بينما تشير مسألة الفعل العقلي إلى المحتوى أو ما يدور حوله الفعل العقلي. في المقاطع التالية في التحقيقات المنطقية، ترد أمثلة تظهر هذا الفرق⁽²⁾:

التأكيدان « $2 \times 2 = 4$ » و «إبسن Ibsen هو المؤسس الرئيسي للواقعية الدرامية الحديثة» كلاهما، من نوع واحد ؛ كل منها مؤهل للتأكيد، ومميزته المشتركة هي جودة حكمه.

⁽¹⁾ مباركي عبد العزيز، القصيدة كأساس لبناء المعرفة الفينومينولوجية، مجلة اللوغوس، العدد 10، 2020، ص 43.

⁽²⁾ Mabaquiao, N, P. 6.

أحدهما يحكم على محتوى واحد والآخر على محتوى آخر. وللتمييز بين هذه «المحتويات» ومفاهيم «المضمون» الأخرى.

يمكن زيادة توضيح هذا التمييز بالأمثلة التالية. الاعتقاد بأن P والاعتقاد بأن Q لهما النوعية نفسها لأن كليهما معتقدان، لكن لهما أمور مختلفة في أن الاعتقاد الأول يتعلق بـ P بينما الاعتقاد الثاني يتعلق بـ Q. أو: الاعتقاد بأن P والرغبة في أن P لها صفات مختلفة من حيث أن الأولى هي اعتقاد بينما الأخيرة رغبة، هوسرل يعتقد أن التمييز الأول ينطبق أيضا على التمييز الثاني، بحيث، من ناحية، هناك نوعية حقيقية ومسألة حقيقية، ومن ناحية أخرى، هناك نوعية مثالية ومسألة مثالية. في ضوء ذلك، فإن النوعية المثالية والمسألة المثالية هي ما يشكل، في التحليل النهائي، المحتوى المثالي للعمل العقلي. أصبح هوسرل في وقت لاحق غير راضٍ عن هذه الفروق ورفضها في النهاية. أحد الأسباب الواضحة هو أنها تؤدي إلى غموض⁽¹⁾.

برينتانو Brentano وهوسرل

هوسرل، كما أشرنا سابقًا، ليس مبدعًا في مفهومه عن القصدية. باعترافه الخاص، أخذها من معلمه السابق، فرانز برينتانو، الذي، بالمناسبة، كان أيضًا الشخص الذي استدرج هوسرل إلى الفلسفة بعد أن انشغل ببعض الوقت بالرياضيات.

لكننا لا نجد كثير من البحوث تشير إلى مصادر ظهور فكرة القصدية لدى برانتانو نفسه. هذا الذي تأثر بالفلسفة السوكولائية في العصور الوسطى، التي تأثرت بدورها بشكل بارز بالفلسفة اليونانية، لذلك سنعود في بحثنا إلى اليونان وبالتحديد مع أرسطو، الذي كانت له آراء مهمة فيما يتعلق بالنفس أو الشعور، ثم ننتقل إلى فلسفة العصور الوسطى، أين سنركز على مفكرين يعدان من أهم أقطاب الفلسفة في العصر الوسيط، ألا وهما: "القديس أوغسطين و القديس توما الأكويني"⁽²⁾.

يمكن استخدام برنتانو قصدية في سياق تمييزه بين علم النفس التجريبي وعلم النفس الوصفي. ذهب برنتانو إلى أن علم النفس الوصفي لا يدرس الوعي من وجهة نظر عضوية أو

⁽¹⁾ Ibid, P. 6.

⁽²⁾ مباركي عبد العزيز، القصدية كأساس لبناء المعرفة الفينومينولوجية، ص 40.

سلوكية كما يفعل علم النفس التجريبي، بل يدرسه على أنه وعي قصدي. والقصدية عند برنتانو تعني الإشارة إلى موضوع داخل الوعي، أي مضمون معين داخله، أو موضوعية محيثة Immanent Objectivity⁽¹⁾. ويعني ذلك أن الوعي لا يحتوي فقط على أحداث أو حالات ذاتية سيكولوجية بل يتضمن كذلك موضوعية حقيقية وليست واهمة أو من صنعه هو، لكنها في الوقت نفسه تنتهي إليه لأنها تظهر فيه⁽²⁾.

أعطى برنتانو للمقصدية دورا استراتيجيا في الحياة الذهنية؛ فالظواهر الذهنية -- بالنسبة إليه - هي أفكار تحليل على موضوعات من حيث إنها متجهة نحوها. وهنا نجد مفهوم "الاتجاهية". فقد عرف المقصدية بصفته اتجاه العقلي نحو الموضوع، مؤكدا لا وجود هذا الموضوع. فالموضوع القصدي الذي يتوجه إليه الفعل النفسي، هو جزء من هذا الفعل النفسي. وبعبارة أخرى، "اللاوجود" يدل على "وجود- داخل" وليس "عدم الوجود". فموضوع أو محتوى ظاهرة ذهنية ما يشكل جزءا من هذه الظاهرة الذهنية نفسها⁽³⁾.

كان أحد الأهداف الرئيسة لبرنتانو في كتابه علم النفس الأساسي من وجهة نظر تجريبية، الذي نُشر في عام 1874، هو إظهار أن القصدية أو، على حد تعبيره، «عدم الوجود المتعمد» يرقى إلى مستوى «علامة» موحدة ومحددة للعقلية. ووفقا لأطروحة برنتانو، فإن الظاهرة هي «فعل» عقلي إذا وفقط إذا أظهرت القصدية. في هذا الفكر، كان برنتانو يأمل في تأسيس «علم النفس الفعلي» كعلم تجريبي ووصفي في المقام الأول يعتمد على «الإدراك الداخلي» ويرتبط بمجال معين من الظواهر، خاصة على عكس العلوم المادية التفسيرية بشكل أساسي مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء.

⁽¹⁾ Franz Brentano, Descriptive Psychology, Translated by Benito Muller (London: Routledge, 1995), PP. 137-941.

⁽²⁾ James Morrison: "Husserl and Brentano on Intentionality", in Philosophy and Phenomenological Research, Vol. XXXI, 1970, P. 29.

نقلًا عن أشرف منصور، عناصر التحليل الفينومينولوجي عند هوسرل: ص 16.

⁽³⁾ عبد الواحد المرابط، مفهوم القصدية في الفلسفة، ص 8.

مع ذلك، على عكس برينتانو، لا يهتم هوسرل بشكل أساسي بإيجاد «علامة» عقلية. في البداية، ينكر هوسرل بشكل مباشر أن كل ظاهرة عقلية مقصودة: «ليست كل التجارب تجارب متعمدة». على وجه الخصوص، يدعي أن الأحاسيس أو ما يسمى بـ «البيانات الهيليتيكية» (على سبيل المثال، الأحاسيس اللونية) وبعض المشاعر (على سبيل المثال، الألم الجسدي والتعب) ليست مقصودة جوهرياً⁽¹⁾.

مع ذلك، على الرغم من حقيقة أن القصدية والعقلية ليسا متعايشين، فإن هوسرل يعتبر أن القصدية هي المفهوم العقلي الأساسي لأنه يشير إلى «الخاصية الأساسية للوعي». ويصف «الوجود العقلي الواعي بمعنى موجز معين لهذه الكلمات». القصدية، كما كانت، هي مركز الخطورة العقلية، لأن جميع الظواهر العقلية مرتبطة بشكل أساسي إلى حد ما بالظواهر المتعمدة. جميع التجارب «تشارك في» القصدية، على الرغم من أنه «لا يمكننا القول عن كل عملية عقلية أن لها قصدية». حتى لو لم يتم تنظيم الأحاسيس وبعض المشاعر بشكل جوهري عن قصد، فإنها عادة لا تحدث بمفردها، بل كأجزاء تابعة لبعض الكل المتعمد. على سبيل المثال، عادة ما يتم دمج الإحساس الأحمر في فعل رؤية شيء أحمر على أساس «مخاوف متحركة»⁽²⁾.

إلى جانب تقييمه النقدي لأطروحة برينتانو، يهتم هوسرل في المقام الأول بالقصدية بسبب دورها التأسيسي، وأهم إنجاز لها هو تكوين الموضوعية. يعتقد هوسرل أن الاستكشاف المنهجي للظواهر لهذا "الدور الوظيفي" مفقود في التفسيرات السابقة، بما في ذلك برينتانو: "لم تتغير هذه الحالة بشكل أساسي حتى من خلال اكتشاف برينتانو للقصدية. لم يكن هناك تفكك للمقاصد المعنية، ولم يتم الكشف عن «التفرعات» التي تتشكل فيها «الوحدة». لا يمكن فهم القصدية إلا ضمن الوحدة الاصطناعية التي تربط كل نبضة من الحياة النفسية من الناحية الغائية فيما يتعلق بالعلاقة الموحدة بالموضوعيات"⁽³⁾.

⁽¹⁾ Christopher Erhard , Husserlian Intentionality, Forthcoming in Hanne Jacobs (ed.), The Husserlian Mind, Routledge, 2021, P. 2.

⁽²⁾ Ibid, P. 2.

⁽³⁾ Ibid, P. 3.

إن موضوع الاختلاف هنا يأتي من هوسرل إيراد للقصدية أن تكون ظاهرة عقلية خالصة دون إلى محاولة منه لعطيها البعد النفسي الوجداني وهذا عكس ما ذهب إليه برينتانو ولعل هذا يرجع إلى أن الأخير أراد أن يخدم دائرة علم النفس القائمة على الوجدان الداخلي أكثر من الفعل العقلي. في حين هوسرل يصاب كل تفكير على دائرة الفعل العقلي الخالص.

رغم إعجاب هوسرل الكبير بأراء أستاذه برانتانو ، إلا أنه قد انتقده في بعض الجوانب منها تعريفه للشعور القاضي بأنه "الإدراك الداخلي" في مقابل "الإدراك الخارجي" ، فيستبدل هوسرل الإدراك الداخلي بالإدراك المطابق ، في مقابل الإدراك غير المطابق، كما رأى أن برانتانو لم يستطع فهم الطبيعة القصدية للوعي بشكل صحيح.

تعد القصدية الأساس الذي انطلقت منه البحوث الفينومينولوجية ، حيث أننا لا يمكننا إنكار أن قضايا الفينومينولوجيا قد بدأت مع قضايا القصدية، التي أخذها هوسرل عن أستاذه برانتانو ، ذلك أن هوسرل قد تأثر بأراء برانتانو في مجال النفس ، لذلك ارتبطت البحوث الفينومينولوجية الأولى ، بالبحث في مواضيع الشعور ، لكننا لا نقصد المفهوم الكلاسيكي للشعور المرتبط بالمحسوسات ، بل الشعور الخالص في صورته الماهوية المتعالية ، حيث أن هوسرل رأي بأن الشعور هو الذي يعطي للموضوعات المعني الوحيد الذي تملكه. إن الشعور بالنسبة لهوسرل يرادف الوعي ، فالشعور بالشيء ، هووعي بالشيء ، هذا الوعي هو ذو طابع قصدي أي أن القصدية تتيح لنا الالتفات إلى الأشياء ذاتها ، الذي جعله هوسرل مبدأ المبادئ في الفينومينولوجيا⁽¹⁾.

نظرية برينتانو عن القصدية ، بشكل عام، نتيجة لجهوده للتعامل مع القضايا التي ولدها مشروعه لرفع مكانة علم النفس إلى مكانة العلم. وتتعلق هذه المسائل بما يلي: أولاً، المعيار المناسب للتمييز بين الظواهر العقلية والظواهر الفيزيائية ؛ وثانياً، التفسير المناسب لاستقلال قصدية الظواهر العقلية عن وجود أو عدم وجود أجسامها المقصودة (أو لماذا لا تتأثر قصدية الظواهر العقلية باحتمال عدم وجود أجسامها)⁽²⁾.

⁽¹⁾ مباركي عبدالعزيز، القصدية كأساس لبناء المعرفة الفينومينولوجية، ص 42-43.

⁽²⁾ Mabaquiao, N, P. 7.

صحيح أن هناك مناسبات يبدو فيها أن هوسرل يرى أن جميع أشكال الوعي أو الظواهر العقلية تظهر القصدية. لاحظ، على سبيل المثال، الملاحظة التالية التي أدلى بها في علم الظواهر وأزمة الفلسفة:

"إلى الحد الذي يكون فيه كل وعي" وعيًا "فإن الدراسة الأساسية للوعي تشمل أيضًا معني الوعي والوعي الموضوعي على هذا النحو".

مع ذلك، هناك أيضًا حالات وصف فيها هوسرل أنه ليست كل الظواهر العقلية مقصودة. تأمل الآن في ملاحظات هوسرل في كتابه الأفكار⁽¹⁾:

القصدية هو مفهوم أساسي في فلسفة العقل وفي فينومينولوجيا هوسرل. في الواقع، يسمي هوسرل القصدية «الخاصية الأساسية للوعي» و«الموضوع الرئيسي للفينومينولوجيا». على الرغم من أن «القصدية» مصطلح تقني في الفلسفة، إلا أنه يمثل شيئًا مألوفًا لنا جميعًا: سمة مميزة لحالتنا العقلية وتجاربنا، خاصة في ما نسميه عادةً «وعيًا» أو «إدراكًا». بصفتنا كائنات واعية، أو أشخاصًا، لا نتأثر فقط بالأشياء الموجودة في بيئتنا؛ كما أننا ندرك هذه الأشياء - الأشياء والأحداث المادية، وأنفسنا والأشخاص الآخرين، والأشياء المجردة مثل الأرقام والافتراضات، وأي شيء آخر نطرحه على أذهاننا. عديد، ربما معظم الأحداث التي تشكل حياتنا العقلية - تصوراتنا وأفكارنا ومعتقداتنا وآمالنا ومخاوفنا وما إلى ذلك - لها هذه السمة المميزة لكوننا «ل» أو «حول» شيء ما وبالتالي تعطينا إحساسًا بشيء ما في عالمنا. عندما أرى شجرة، على سبيل المثال، تصوري هو تصور لشجرة؛ عندما أعتقد أن $5 = 2 + 3$ ، أفكر في أو حول أرقام معينة والعلاقة بينها؛ وعندما أمل ألا تحدث حرب نووية أبداً، فإنني أمل أن يكون هناك وضع محتمل للعالم في المستقبل؛ وهكذا. كل حالة أو تجربة عقلية من هذا القبيل هي بهذه الطريقة تمثيل لشيء آخر غير نفسه وبالتالي تعطي المرء إحساسًا بشيء ما. هذه الشخصية التمثيلية للعقل أو الوعي - كونها «ل» أو «حول» شيء ما - هي «القصدية»⁽²⁾.

⁽¹⁾ Mabaquiao, N, P. 7,8.

⁽²⁾ Ronald McIntyre and David Woodruff Smith, "Theory of Intentionality," in J. N. Mohanty and William R. McKenna, eds., *Husserl's Phenomenology: A Textbook* (Washington, D. C.: Center for

نحن لا نتفق مع هذا المعنى الذى يذهب أن التجربة العقلية تعد تمثيلاً آخر لشيء غير نفسه بل نرى العكس فكل تجربة عقلية تعطينا إمتداد لوجود الشيء ذاته ولكنه وجود مجرد فى العقل غير مختلف لما هو فى العقل مثلاً قولنا $2+1=3$ فنحن نستحضر هذه الأرقام المجردة ليمتد هذا التجرد إلى التصور العقلى الذى ينعكس فى الذات العاقلة فنذكر أنه امتداد صورى لصورة الأرقام المجردة. كما أنه على فرض صدق الفرض السابق من القول بأن الشيء يمثل شئ آخر غير نفسه هذا حتمًا يؤدي إلى التضارب الواقع المادى مع الصورة العقلية المجردة وبالتالي تستحيل عملية الوعى وهنا تنتفى القصيدة .

إن ظهور الموضوعات فى الوعى ليس تلقياً سلبياً لها فى من الخارج، ذلك لأن الوعى ليس وعاء يتم فيه جمع ما تتحصل عليه الحواس. فحضور الموضوع فى الوعى يكون نتيجة قصد الوعى إليه. وليست القصيدة هي أن يقصد الوعى إلى الأشياء الخارجية بهدف إدراكها، بل القصيدة تكون نحو الموضوع الحال فى الوعى بهدف معرفته وإصدار الحكم عليه. ومعنى ذلك أن الحكم ليس وضعاً لشيء خارجي تحت تصور أو مقولة، بل توجه قصدي من قبل الوعى نحو الموضوع الحال فيه منذ البداية (لا). ومعنى القصيدة الذي يتوجه به الوعى نحو مضمونه هو الذي يحدد أشكال الحكم المختلفة، وبذلك يكون الحكم كلية إذا قصد الوعى نحو الكلي فى مضمونه، ويكون جزئياً إذا قصد الوعى نحو الجزئي؛ ويكون الحكم حول الكم إذا كان كم الظاهرة هو قصد الوعى، ويكون حول الكيف إذا كان قصد الوعى نحو كيف الظاهرة، ويكون شرطياً إذا كان قصد الوعى نحو علاقة ما بين الظواهر⁽¹⁾.

ومعنى ذلك أن هناك وجود مستقبل للوعى باعتباره خطوة الأولى فى العملية الإدراكية ثم يأتى بعد ذلك القصيدة وكأنه هنا يجعل القصيدة أحد نتائج الوعى. وبالتالي تصبح القصيدة عملية دقيقة قائمة على العلاقة التبادلية بين الوعى والموضوع او بين الذات المستقبلية والموضوع بغض النظر عن طبيعة هذا الموضوع.

Advanced Research in Phenomenology and University Press of America, 1989), pp. 147-79. Original page numbers are in <> , P. 1.

⁽¹⁾ أشرف منصور، ص 16.

القصدية هي خصائص أساسية لمجال العملية العقلية المتخذ عالميا فيما يتعلق بجميع العمليات العقلية بطريقة أو بأخرى ؛ ومع ذلك، لا يمكننا القول عن كل عملية عقلية أن لها قصدية المعنى نفسه كما نقول، على سبيل المثال، في كل عملية عقلية... إنها [عملية عقلية] زمنية.

حسب تفسير هوسرل، فإن أهداف الظواهر القصدية ليس لها حالة مفردة أو موحدة، لأن الهدف المقصود، مهما كان، ليس في الحقيقة جزءاً من الظواهر أو التجارب القصدية. وهكذا، إذا كان المرء يفكر في أفكار، مثل فكرة الإله جوبيتر، فإن موضوع التفكير هو شيء عقلي أو غير دقيق. ولكن إذا كان المرء يفكر في بسمارك Bismarck ، أو برج بابل، أو كاتدرائية كولونيا، أو بوليغون polygon، فإن المرء يفكر في أشياء توجد خارج وعي المرء. وبشكل أكثر تحديداً، إذا كان المرء يفكر في بسمارك، فإن المرء يفكر في شخص حقيقي. إذا كان المرء يفكر في كاتدرائية كولونيا، فإن المرء يفكر في مكان حقيقي. وإذا كان المرء يفكر في مثلث ، فإن المرء يفكر في كيان حقيقي. بالإضافة إلى ذلك، إذا لم يكن موضوع تفكير المرء موجوداً، يدعي هوسرل أن هذا لا يغير حقيقة أن المرء لا يزال يفكر في هذا الشيء. لكن كيف تكون هذه العبارة الأخيرة ممكنة في نظرية هوسرل؟ هذا هو السؤال نفسه مثل: كيف يتعامل هوسرل مع مشكلة عدم المرجعية؟⁽¹⁾.

إن خاصية الترقب الشعوري للأفعال القصدية ، و الإحالة المستمرة إلى المدركات المستقبلية التي سوف تظهر في مجال الشعور القصدية، تعني أن القصدية تقوم بعملية ربط مستمرة Countinuous Connecting، سواء بين الموضوعات المدركة والأفعال المدركة من جهة أو بين الحالات المدركة بالفعل والحالات الجديدة المتوقعة ، و المرتبطة بها في التيار الشعوري من جهة أخرى ، حيث تصبح كل هذه المدركات في صورة مترابطة وتسلسل واضح له معني مفهوم ومحدد⁽²⁾. وهذا معناه أن القصدية تقوم بتركيب موضوعات الوعي مع بعضها البعض ، و

⁽¹⁾ Mabaquiao, N, P. 16.

⁽²⁾ سماح رافع محمد: الفينومينولوجيا عند هوسرل، دار الشئون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط1، بغداد، 1991، ص193.

تقوم فضلا عن ذلك بتصنيف أفعال الإدراك ذات الطابع القصدي المحض، لتكون لنا حياة معرفية يمكن التحقق منها تجريبيا.

يخصص هوسرل مفهوم برينتانو عن القصدية في فينومينولوجيته لأنه بمثابة الإطار الضروري لإختزالاته الفينومينولوجية. ومع ذلك، لا يتفق هوسرل مع أطروحتي برينتانو الأساسيتين: الأطروحة النفسية، التي تدعي أن القصدية هي السمة الأساسية لجميع الظواهر العقلية والأطروحة الأنطولوجية، التي تدعي أن أهداف الظواهر القصدية هي كيانات عقلية.

يُظهر تحليلنا أن هوسرل، في جداله ضد أطروحات برينتانو، يقع في شكل من أشكال التناقض. أولاً، في الجدل ضد أطروحة برينتانو النفسية، يتعارض هوسرل مع الدقة المرغوبة لفينومينولوجيته، ونتيجة لذلك، يقصر هوسرل نطاق تحقيقاته على الظواهر العقلية القصدية أو الأفعال العقلية ويترك الأفعال غير القصدية غير مفسرة. ثانياً، في الجدل ضد أطروحة برينتانو الأنطولوجية، يتعارض هوسرل مع الأعمال الفعلية للغة. لأن هوسرل، نتيجة لطريقته الفينومينولوجية، التي تشمل السمات الطارئة للظواهر، يتجاهل إسهام السياق في تكوين الحس اللغوي. على تفسير هوسرل، الحس اللغوي ليس سوى الأساس اللغوي للـ noema. هذا هو المكان الذي تنتهي فيه أوجه التوازي بين النويما الهوسرلية والحس الفريجي Fregean sense؛ لأنه في حين أن الحس الفريجي يتطلب سياق اقتراح وخلفية نظام لغوي، فإن النويما الهوسرلية لا تفعل ذلك⁽¹⁾.

نحن نرى أنه بالإضافة إلى هذا يعتمد هوسرل على الأفعال العقلية في مفهومه للقصدية ومن هنا يكون مفهومه ذات أبعاد إدراكية أكثر من الأبعاد النفسية التي تشمل الجانب الإدراكي والوجداني وحتى يضمن هوسرل لمنهجه مسارا واضح منذ البداية دون الالتباس بين العقل والنفس.

بالهام من أرسطو، أعاد فرانز برينتانو إحياء مفهوم القصدية من أجل توصيف مجال الظواهر العقلية التي درسها علم النفس بشكل فريد. بينما كان تلميذه، إدموند هوسرل، يتجاهل كثير من الإطار المفاهيمي لبرينتانو، استمر في وضع القصدية في صميم علمه للوعي

⁽¹⁾ Mabaquiao, N, P. 26.

الخالص. ومع ذلك، أسقط مساعد هوسرل، مارتن هيدجر، كل الإشارة إلى القصد والوعي في كتابه الوجود والزمان Being and Time ، وبدا أنه انفصل بشكل حاد عن معلميه المعلنين، برينتانو وهوسرل. بالإضافة ذلك، انحاز عديد من المعلقين الجدد إلى هيدجر في هذه النقطة. وهكذا، أيد هوبير دريفوس Hubert Dreyfus نقد هيدجر لهوسرل وبرينتانو كتغلب على جميع الأساليب المعرفية والتمثيلية للقصدية. بالنسبة لدريفوس، كان إسهام هيدجر فاعلا لإزالة القصدية من مجال العقل ونقلها إلى الجانب العملي⁽¹⁾.

لكن هل يدير هيدجر ظهره حقًا لتفسيرات هوسرل وبرينتانو عن القصد؟ يدعي هيدجر أنه يعيد التفكير في القصدية من حيث تعالي الوجود transcendence of Dasein بطريقة تغير جذريًا المشكلة برمتها، وتتغلب على فكرية هوسرل، وتؤدي إلى مسألة الوجود. ولكن، كان هوسرل في الأصل هو الذي وصف القصدية من حيث التعالي، حتى في التحقيقات المنطقية، وفي الواقع، هو الذي أوضح التعالي من حيث علاقته بالزمنية. وبالمثل، يبدو أن تطرف هيدجر في إشكالية القصدية من حيث مسألة الوجود قد تم توقعه بالفعل في الفروق الوصفية لهوسرل بين الأنواع المختلفة من «الموضوعيات» التي تمت مواجهتها في حياتنا الواعية، في تطوره للأنطولوجيات الشكلية والمادية، وفي سرده للعلاقة بين الحكم والحقيقة. في الواقع، اعترف هيدجر نفسه مرارًا وتكرارًا بسرد هوسرل للحدس القاطع في التحقيق السادس على أنه قدم حافزًا لتفكيره حول طبيعة الوجود. أن هيدجر يطور هوسرل، ويركز بشكل خاص على البعد الأنطولوجي للقصد، وليس العكس كما اقترح عديد من المعلقين. بالإضافة إلى ذلك، أن رواية هوسرل عن القصدية المعرفية، والتي تعترف بأهمية الموقف النظري غير المهتم بالمعرفة العلمية، قد تم التقليل من شأنها وسوء فهمها من قبل هيدجر، الذي يتعامل مع الإدراك العلمي كشكل من أشكال التجربة الجريئة⁽²⁾.

⁽¹⁾Dermot Moran, Heidegger's Critique of Husserl's and Brentano's Accounts of Intentionality, University College Dublin, P. 39.

⁽²⁾Ibid, P. 39.

لهذا نرى أن القصدية كمبدأ من مبادئ الفينومينولوجية أصبحت لها إطار فلسفي كاملاً ونسق فكري على يد هوسرل وكل ما فعله هيدجر أنه حاول سدّد الثغوب الموجودة في نظرية هوسرل. كما أن هيدجر كان منسقاً بنظريته عن الوجود والعدم التي انعكست على مفهومه للقصدية.

يبني هوسرل مفهومه عن القصدية على أساس الوعي الذاتي، ويذهب إلى أن الحكم هو وعي بالشئ، والإدراك هو توجه قصدي نحو الشئ، والوعي بصفة عامة هو وعي بشئ ما وليس هناك وعي فارغ أو بدون مضمون ⁽¹⁾، ليس هذا الشئ خارجية بل هو الظاهر المحايث للوعي. ومعنى ذلك أن الحكم إذا لم يكن مصاحباً بوعي بفعل الحكم لن يكون حكماً من الأصل، وكذلك الإدراك الحسي، فلو لم يكن مصاحباً بوعي ذاتي بفعل الإدراك فلن يكون إدراكاً. كما تتشابه القصدية عند هوسرل مع قضية المعني، إذ يذهب إلى أن كل خبرة قصدية لديها معنى تتصل خلاله بالموضوع في الخبرة القصدية إذن هي خبرة الوعي بالموضوع عن طريق المعنى المقصود من قبل الذات والذي يرتبط مباشرة بالموضوع ⁽²⁾. وكما يقرب مفهوم القصدية الذات من الموضوع فهو يقرب الموضوع أيضاً من الذات، ويتضح هذا من قول هوسرل إن كل العالم الواقعي الموضوعي عبارة عن تمثيل للوعي Representation. تعبر القصدية إذن عن أن الوعي يحمل في ذاته بوصفه "أنا أفكر" (كوجيتو) موضوعه المفكر فيه. ويذهب هوسرل إلى أن القصدية الصريحة هي "كوجيتو" مكتمل ⁽³⁾.

كلمتي "العقل" و "الوعي" مصطلحان مترابطان بشدة، لكنهما ليسا مرادفين تماماً. يشير مصطلح "العقل" إلى الحياة العقلية الكاملة للشخص، بما في ذلك المحتويات والعمليات العقلية اللاوعية. "الوعي" بالمعنى الدقيق للكلمة، هنا يعني الوعي الظاهري الذاتي. اشتهر هوسرل بتعريف الوعي من حيث "القصدية"، لكنه أكد أيضاً أن التجربة المتعمدة تحتوي على

⁽¹⁾ Husserl, Ideas, General Introduction to pure phenomenology, Translated by. W.R. Boyce Gibson, London, 1967, P. 141.

نقلاً أشرف منصور: ص 17.

⁽²⁾ Ibid, P. 141.

⁽³⁾ Ibid, P. 323.

بعض الأشياء غير المقصودة، مثل "الإحساس" في رأيه، نحن لسنا موجبين عن قصد إلى الإحساس، ولكننا نعيشه خلال الخبرة. ومع ذلك، لا يزال الإحساس جزءاً من الوعي.

يشير مصطلح "الحد الأدنى من العقل" إلى الحياة الداخلية للشخص (أو الكائن الحي) الذي لديه القدرة الأساسية على النشاط العقلي. يبدو أننا، في هذا السياق، مهتمون في المقام الأول بالمواضيع التي يمكن أن تكون لها تجارب واعية ظاهرية على أدنى مستوى يمكن تصوره. يمكننا بالفعل أن يكون لدينا محتويات باطنية في حياتنا العقلية، ولكن من منظور هوسرل، فإن الكائنات الحية هي "موضوعات ضئيلة" بالمعنى الدقيق للكلمة فقط إذا كانت قادرة على الحصول على تجارب واعية بشكل ظاهري. يمكن الإشارة إلى تجربة واعية بأقل حدة باسم "الحد الأدنى من الوعي". بالنسبة لهوسرل، تعد القدرة على الخبرة الواعية بشكل ظاهري مكوناً هيكلياً أساسياً للحد الأدنى من العقل⁽¹⁾.

لقد عمل هوسرل قبل تقديم مفهوم فينومينولوجي للوعي، على قراءة وتلخيص مختلف المفاهيم التي ظهرت عند المفكرين السابقين، ولقد رأى في البحوث المنطقية أن هناك ثلاثة مفاهيم للوعي تدخل في اهتمامنا كفينومينولوجيين: "المفهوم الأول: يتمثل في دراسة الوعي بوصفه جملة مركبات فينومينولوجية حقيقية لأننا الإمبريقي، أي بوصفه نسيج المعيشات النفسية في وحدة تيار المعيشات، والمفهوم الثاني يقوم على دراسة الوعي بوصفه الإدراك الداخلي للمعيشات النفسية الخاصة، أما المفهوم الثالث: فيتمثل في ودراسة الوعي بوصفه الموقع المنشود لكل صنف من الأفعال النفسية للمعيشات القصصية، ونرى خلال اهتمام هوسرل بهذه المفاهيم الثلاثة، أنه حاول أن يقيم دراسة شاملة للوعي الإنساني في كليته، ذلك أنه سعى إلى إقامة معرفة واعية بالمركب الجسدي لأننا، بالإضافة إلى دراسة المركب النفسي لهذا الأخير، بالإضافة إلى محاولة تقديم دراسة وصفية فينومينولوجية لمختلف الأفعال السابقة عن هذين المركبين، ذلك أن هوية المجال الفينومينولوجي، تتحدد خلال دراسة

⁽¹⁾ Bence Peter Marosan, Husserl on Minimal Mind and the Origins of Consciousness in the Natural World, P.

مختلف أفعال الوعي في تضادها، بوصفها ليست فاعلا فينومينولوجيا خالصا فحسب، بل هي في ذاتها شيء ما لمعطى فينومينولوجي، يحمل طابعا فعالا في التجربة فينومينولوجية ذاتها. يعد مفهوم الوعي مفهوما مشتركا بين كثير من العلوم ، حيث نجد كثير منها تقدم له معني محدد حسب إطارها المعرفي: فنجد علوما تسبق الفينومينولوجيا في البحث في هذا المجال، على غرار علم التاريخ، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، و خاصة علم النفس التجريبي، الذي يلتقي بقوة مع الفينومينولوجيا، لكن هوسرل يرى أن هذه العلوم "لم تجعلنا أكثر معرفة، فهي لا تعطينا معرفة أصيلة، هي فقط تجعلنا نقدم عملا حسابيا لنشاط الطبيعة، لكنها لا تجعلنا نقف على ماهيتها الحقيقية ، فهي تعطينا معرفة محدودة لبعض الحالات والانفعالات ، تقدمها لنا كقوانين أو قواعد مستقلة⁽¹⁾.

بنفس المبدأ الخاص الذي انتقد به هوسرل العلوم الأخرى كالتاريخ وعلم الاجتماع من أنها علوم لا تضيف لنا معرفة نطرح سؤال وهل القصديّة او الفينومينولوجية بشكل عام هي التي تضيف رصيد في معرفة العقلية ؟ في الحقيقة يمكننا القول أنه عملية تكاملية بين المعارف البشرية فقد يكون التاريخ وعلم الاجتماع قائم على المعرفة الخارجية للحياة البشرية في حين أن الفينومينولوجية قائمة على معرفة الإنسان لذاته في الاول منها ينتقل إلى المعارف القائمة المدركات الخارجية ، وبالتالي لا يمكننا الفصل بين هذه العلوم .

من خلال اتباع أساليب هوسرل في علم النشوء والتطور ، وكذلك تحليلاته المقارنة للحيوان والطفل، قدمت هذا البحث إعادة بناء منهجية لنظرية هوسرل حول الحد الأدنى من العقل. تؤدي هذه الجهود إلى استنتاجات مفادها أن:

(1) حتى الحد الأدنى من الموضوع يجب أن يكون له هيكل الكوجيتو الثلاثي ego—

cogito—cogitata

وأنه (2) لا يمكن تصور أي وعي، سواء كان من أدنى مستوى، دون ظاهراتية. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تشكل الأنا الدنيا نفسها ككائن جسدي في بيئة بدائية للغاية. يجب أن يكون

⁽¹⁾ مباركي عبد العزيز: ص 47.

لديها بعض التجارب الحركية والحيوية ؛ فهي تمتلك مجموعة من الغرائز التي توجه خلالها إلى تكوين بيانات داخلية معينة، والتي تشكل بيئتها⁽¹⁾.

ثمة رسالتين هنا رسالتين رئيسيتين. أولاً، زعم أن هوسرل كان لديه نظرية منهجية عن الحد الأدنى من العقل وأنه، طوال حياته المهنية، عمل دائماً على مناهج منهجية مختلفة قد تجعل الحد الأدنى من العقل متاحاً للتفكير الظاهري. تمثل الحيوانات «ذات المستوى الأدنى» (مثل اللافقاريات) والأجنة أشخاصاً يمثل هذا المستوى الأدنى من العقلية. لقد حاولت إعادة بناء المسارات المهمة المختلفة التي من خلالها قام بتخصيص أدنى مستوى من الذاتية من منظور الشخص الأول وفي مواضيع أخرى. وعند القيام بذلك، استندت إلى منهجية التفكير الظاهري، التي بموجبها لا يمكن فصل مفهوم العقل عن الإمكانية العامة لخوض تجارب ذات وعي ظاهري بأقل حدة، هناك علاقة أساسية ضرورية مسبقاً بين الجوانب الذاتية والموضوعية للجسد، بين ليب وكوربر Leib and Körper، والتي تؤثر على الحياة العقلية للشخص بأكملها. وهذا أمر مهم فيما يتعلق بالحجة العامة الواردة في هذه المادة لسبين. من ناحية أخرى، جعل مفهوم التجسيد هذا من المشروع فينومينولوجي اعتبار السلوك الجسدي مؤشراً لا يقبل الشك على الحياة الداخلية للموضوع. من ناحية أخرى، فإن هذا المؤشر بمثابة التوجيه Leitfaden في تصور أبسط موضوع ممكن قادر على أي نشاط عقلي على الإطلاق. الحد الأدنى من العقل، بسبب التجسيد الحتمي للذاتية، يعني ضمناً الحد الأدنى من التجسيد⁽²⁾.

أصبح هوسرل يرى أن القصديّة هي مفتاح التحليل الظاهري للإدراك والوعي، والسعي البشري بأكمله ليكون واعياً وعقلانياً عالمياً: "القصديّة هي اسم المشكلة التي تشملها كل الظواهر". نظراً للدور الأساسي للقصديّة في فينومينولوجيا هوسرل، فإنه في البداية شيء من الصدمة أن وجود هيدجروزمه، بينما يدعي صراحة أنهما أطروحات فينومينولوجية، يحتويان على إشارتين موجزتين فقط إلى القصديّة: ملاحظة انتقادية بشأن عدم كفاية تحليل شيلر Scheler للشخص بوصفه مؤدياً للأفعال القصديّة وهامش واحد عن القصديّة بوصفها

⁽¹⁾Bence Peter, P.

⁽²⁾Ibid.

متأصلة في التعالي الزمني للوجود. وعلى أساس ندرة الإشارة هذه، كان من المفترض على نطاق واسع أن هيدجر رفض هوسرل بشكل أو بآخر منذ البداية. ومع ذلك، فإن نشر محاضرات هيدجر ماربورغ (1923-28) يكشف أن هيدجر كان على دراية عميقة بكل من روايات برينتانو وهوسرل (وحتى روايات شيلر) عن القصيدة. في الواقع، في هذه المحاضرات، يبدو أن هيدجر يؤيد إلى حد ما رواية هوسرل عن القصيدة، بينما يدعو في الوقت نفسه إلى توضيح أنطولوجي، وتحديداً طبيعة العلاقة القصيدة ووجود الكيانات ذات الصلة.

في منتصف عشرينيات القرن الماضي، رأى هيدجر مشروعه الخاص كتوضيح أنطولوجي للرؤى المهمة لفينومينولوجيا هوسرل. بالإضافة إلى ذلك، في العديد من تأملات السيرة الذاتية اللاحقة، يؤكد هيدجر أهمية فينومينولوجيا هوسرل لتطوره. في محاضرات ماربورغ، يوضح هيدجر بإيجاز تطور مناقشة القصيدة من برينتانو، حيث يتم استخدامها "لإظهار الجانب النفسي، قبل كل تفسيرات العلوم الطبيعية"، إلى هوسرل، الذي تعامل مع القصيدة بوصفها السمة المكونة للوعي؛ الذي "يحدد جوهر الوعي في حد ذاته، وجوهر العقل"⁽¹⁾.

إن للرد طابعا قصديا، حيث أن القصيدة بما هي الوعي بالشيء، والرد يقوم برد ذلك الشيء، فالقصيدة من هنا تقضي بأن نعي ما هو مردود، وهذا ما جعل هوسرل يتجاوز الطرح الديكارتي، ذلك أن الرد من دون وعي يقودنا إلى شك سلبي لا نجني منه شيئا، بيد أننا حينما نعي ما نقوم برده، نحصل على متبقي خالص، يجعلنا نقف على الأرض الترنسندنتالية. من هذا المنطلق فإن كلا من القصيدة والرد، يعملان على الوصول إلى المعرفة الفينومينولوجية القائمة في الأرض الموعودة، أرض الوعي الخالص، بالتالي نجد هوسرل يستخدم كلا من الرد والقصيدة في توافق وانسجام، "فالترنسندنتالي، يفيد حالة عدم وجود الموضوع وجودا فعليا reell في فعل المعرفة أي في حقلها المحايث. فالتفكير cogitatio يتشكل فعليا من بني ولحظات أساسية، لكن الشيء الذي يقصده التفكير، و الذي يسعى لإدراكه "الحاضر"، أو تذكره "الماضي"، أو تخيله

⁽¹⁾ Dermot Moran, P. 41.

"المستقبل"، لا يوجد فعليا في التفكير ذاته كجزء من أجزائه ، ولا يكون أيضا في التفكير كشيء ما موجود حقا فيه⁽¹⁾.

يدعي هيدجر أنه في الروايات التقليدية عن القصدية (هنا يشمل برينتانو، هوسرل، ريكتر (Rickert، وآخرين)، أسيء فهم كون الجسم القصدي على أنه مجرد "كيان موجود في تناول اليد" أو "حدث". كذلك، أيضا، طبيعة التأمل الذاتي الذي يكشف عن الكائن الذي قد وُصف خطأ كنوع من المعرفة noesis، على أنها "النية الإدراكية"، في حين أن هيدجر، بعد ماكس شيلر، يريد توسيع أنواع السلوك أو "الانتقال" التي يجب بوصفها ذات بنية قصدية. يدعي هيدجر في محاضراته عام 1928 أن نظرة هوسرل الثاقبة إلى القصدية لم تذهب بعيدًا بما فيه الكفاية وأن "استيعاب هذه البنية بوصفها البنية الأساسية للوجود يجب أن تُحدث ثورة في مفهوم الإنسان بأكمله". يستشهد هيدجر بشيلر باستحسان لامتلاكه رؤية مفادها أن إعادة التفكير الجذري في القصدية فيما يتعلق بالإنسان يجب أن يتجاوز المثالية والواقعية، لكنه ينتقد شيلر لعدم امتلاكه الأدوات المفاهيمية للتقدم في التحليل. بدلاً من ذلك، بالنسبة إلى هيدجر، يجب إعادة التفكير في العلاقة القصدية بأكملها من حيث وجود الوجود في العالم⁽²⁾.

غالبًا ما يُفهم تركيز هيدجر على التعالي من قبل أتباع هيدجر على أنه معارض لرواية هوسرل الذاتية المفترضة عن القصدية. ومع ذلك، في وقت مبكر من التحقيقات المنطقية، استخدم هوسرل مفهوم التعالي لوصف الكائن في علاقته بالوعي. لا يكون الجسم القصدي أبدًا جزءًا من الفعل ؛ جميع أشياء الوعي متعالية - من الأشياء "الظاهرية" الفعلية إلى أشياء مثل «الله» أو "تربيع الدائرة". في الواقع، يؤكد هوسرل في جميع كتاباته أن القصدية تنطوي على التعالي. بالإضافة إلى ، منذ أوائل القرن العشرين، حدد هوسرل بوضوح الصلة بين التعالي والزمن ؛ الإدراك البشري دائمًا ما يحتاج نفسه بتوقعاته واحتجاجاته من جانب، فضلاً عن

⁽¹⁾ يوسف بن أحمد: الظاهرة والمنهج، فينومينولوجيا هوسرل، مركز النشر الجامعي، دط، تونس، 2008، ص170.

⁽²⁾ Dermot Moran, P. 42.

الاحتفاظ به من جانب آخر. لا يوجد فعل إدراكي لجسم مادي متأصل بالكامل في الحاضر. في الواقع، بالنسبة لهوسرل، كان ينتهي إلى نفس بنية الأشياء المادية التي يتم إعطاؤها للوعي فقط في تمثيلات زمنية من جانب واحد. يرى هوسرل أن هذا سمة مقيدة للموضوعية بقدر ما هو سمة من سمات الوعي، وبالكاد موقف الذاتية الراديكالية⁽¹⁾.

الآن، وفقاً لهايدر، على الرغم من أن هوسرل قد استخدم التفكير الفينومينولوجي للوصول إلى مجال الوعي الخالص بطريقة متقدمة بكثير على أي فيلسوف آخر، إلا أنه فوت فرصة لفحص الطبيعة الأنطولوجية للأفعال والأشياء القصدية نفسها. كان التوجه المعادي لعلم النفس في هوسرل، والذي ركز كثيرًا على اكتشاف الموضوعات المثالية، يعيب إهمال وجود الأفعال نفسها، مما ترك الباب مفتوحًا أمام احتمال معاملتها على أنها مجرد حقائق نفسية. على حد تعبير هايدر، فإن التمييز بين فعل الحكم الحقيقي نفسيًا ومحتوى المعنى المثالي يحتاج إلى استجواب حول حقيقة الفعل أو وجوده. ألا يثير افتراض وجود مثالية بجانب الواقع مشكلة العلاقة بين المجالين على الفور؟ ليس فقط بين المحتوى والكانن، ولكن بين الفعل الحقيقي ومحتواه المثالي. ما نوع الوجود الذي تمتلكه العلاقة بين المثالية والحقيقية؟ هل هذه العلاقة بحد ذاتها حقيقية أم مثالية؟⁽²⁾.

تعتمد فينومينولوجيا هوسرل على التمييز بين ظهور الموضوعات في الوعي وحضورها المحايث له، وبين الفعل الذي يقوم به الوعي لإحضار الظاهرة فيه. وفي ذلك يبتعد هوسرل عن النظريات التجريبية والعقلية في الوقت نفسه. ذهبت النظريات التجريبية إلى أن الموضوع حاضر في العالم الخارجي، وما على الوعي إلا أن يتلقاه سلبياً، وذهبت النظريات العقلية إلى أن العقل لا يدرك الموضوع نفسه، ذلك لأن مهمة إدراكه ملحقة بالحس، أما العقل فهو يدرك الكلي والمجرد من الموضوع. أما هوسرل فقد ذهب إلى أن الموضوع الحسي نفسه حاضر في الوعي لا في الحواس وحسب كما ذهبت التجريبية، كما أن العنصر العقلي أو الكلي والمجرد ليس مجرد أفكار جاهزة في العقل، بل نتاج تكوين وتأسيس قبلي من جانب الوعي. ومعنى ذلك أن

⁽¹⁾Ibid, P. 43.

⁽²⁾Ibid, P. 55.

الوعي يؤسس موضوع الإدراك الحسي ويؤسس العنصر الكلي فيه في الوقت نفسه . ويطلق هوسرل على حضور الحسي في الوعي مصطلح "مضمون الوعي" Noema، وهو يستخدمه للإشير إلى أن الحسي حاضر في الوعي لا في الحواس وحسب، ذلك لأن أعضاء الحس لا تفعل شيئا إلا استقبالا انطباعات حسية، أما الموضوع الحسي بوصفه كلاً مترابطاً فهو حاضر للوعي فقط وحضوره هذا كما سبقت الإشارة نتيجة لأفعال قصدية من قبل الوعي، ويطلق هوسرل على هذه الأفعال مصطلح "فعل الوعي" Noesis⁽¹⁾.

كما اعترف هيدجر صراحة في الوجود والزمان، كانت ميزة علم النفس أنها حاولت على الأقل أن تظل وفية للتجربة الواقعية وصمدت ضد فصل المثل الأعلى عن الحقيقي. مفهوم هيدجر عن الوجود، الذي يحل محل حديث هوسرل عن الوعي هو محاولته لتجاوز التاريخ الزمني والمثل الأعلى، لاستبدال التمييز المثالي/الحقيقي بطريقة مختلفة تماماً للنظر إلى المشكلة. تتمثل طريقة هيدجر في دفع مشكلة القصدية إلى الأمام في تطرف رواية هوسرل عن القصدية للتأكيد على فهم القصدية من حيث التعالي، مع التعالي نفسه المرتبط بدور الكينونة في الوجود. التعالي هو نشاط وعلاقة، وفقاً لهيدجر. معناها التقليدي هو تجاوز الأمر وتخطيه. يوضح هايدجر: "أن تكون موضوعاً يعني التسامي". ولكن، باستخدام التشبيه نفسه الذي استخدمه هوسرل نفسه في المنطق الصوري والمتعالي، يعتقد هيدجر أنه من الخطأ التفكير في هذا التعالي على أنه مثل الخروج من الصندوق. بدلاً من ذلك، فإن "تخطينا" أو "تجاوزنا" أو "تعالينا" للعطاء هو دائماً جزء من كيائنا: «الوجود هو في حد ذاته الممر عبر». وقد أسىء فهم القصدية بوصفها تحركاً يتجاوز الموضوع إلى الهدف ؛ بل هو التسليم بأن الأمور نفسها يتم الكشف عنها. فالإسهام الكبير لعلم الفينومينولوجيا في مواجهة المثالية الألمانية والتجريبية البريطانية على السواء هو أنه "أثبت أنه لا يمكن تمييز غير الحسي والمثل الأعلى دون مزيد من اللغط مع الذاتية الواعية". وبعبارة أخرى، يجب أن يفهم التصنيف بمصطلحاته الخاصة، على

⁽¹⁾ أشرف منصور، ص 15.

أنه نوع خاص من الموضوعية يأتي مباشرة. بالنسبة لهيدجر، فإن مبدأ القصدية برمته هو مبدأ الحدس المقولي⁽¹⁾.

إلا أنه يمكن لنا القول هنا أن هوسرل يذهب إلى أن الموضوعات المثالية لا تتحدد بالزمان الفيزيائي الطبيعي، ومعنى هذا أن الزمان والمكان اللذان سوف ترتبط به الموضوعات المثالية ليس هو الزمان والمكان الفيزيائيين الطبيعيين، بل الزمان والمكان القبليان الترانسندنتاليان بالمعنى الكانطي.

نحن لا نعرف ما الذي نفعله عندما نختار المفهوم الصحيح للفصل وفي نفس الوقت نعتقد أنه يمكننا رفض القصدية باعتبارها مفهوماً أسطورياً. الاثنان واحد ومتشابهان. يرى هايدجر أنه مع وضع مفهوم الحدس المقولي، قد حقق هوسرل بالفعل تقدماً في كونه قصدياً. في هذه المحاضرات، يتفق هايدجر مع هوسرل على أن شيئاً جديداً يتم تقديمه في الحدس المقولي، ويتم إعطاء موضوعية جديدة في الفعل المقولي المعقد. علاوة على ذلك، في محاضراته عام 1925، وصف هايدجر الموضوعية المقدمة على أنها "حالة"، موضوعية مثالية، وليست جزءاً حقيقياً. يتحدث هايدجر، بعد هوسرل، عن هذه "الاتحادات المثالية" على أنها ذات هوية ثابتة. لكن هايدجر ينتقد أيضاً هوسرل لأنه لم يفكر أبداً في الطريقة التي "تحصل" أو "توجد" عليها الحالة. هل يتعلق الأمر بالعلاقات الهيكلية الداخلية للحالات أم يتعلق بطريقة الحصول؟ هايدجر له ما يبرره في الإشارة إلى أوجه القصور الوجودية الخطيرة في رواية هوسرل هنا. يحاول هايدجر إعادة التفكير في هذا الموقف من خلال روايته الخاصة للإيضاح والحقيقة ومن خلال تحليله لمختلف معاني "يكون" في سلسلة المحاضرات عام 1927. بعد هوسرل، يريد هايدجر أن ينأى بفهم الحدس المقولي عن التفسير المضلل للكانطيين الجدد (الذي وجده في Heinrich Rickert)، والذي يصبح من خلاله مجرد إعادة صياغة للمعارضة الكانطية بين التقبل الحسي والحدث المفاهيمي المفاهيمية. يشرع هايدجر في التفكير بعمق أكبر في نوع الإنجاز التركيبي الذي ينطوي عليه الحدس المقولي، وتحديداً التركيب المعبر عنه في اللغة والمنطق باسم الرابط copula. يتماشى هايدجر مع هوسرل في التفكير في أن الإنجاز التركيبي يحدده الوضع

⁽¹⁾ Dermot Moran, P. 55.

نفسه ؛ يؤكد هايدجر، بعد هوسرل بالضبط، أنه لا يعني الإنتاج بمعنى صنع أو اختلاق ولكن "السماح للكيان بأن يُنظر إليه في موضوعيته". ويكشف القانون المقولي عن شكل جديد من أشكال الموضوعية ؛ فهو لا يبني هذه الموضوعية على أساس الإدراك البسيط للحس⁽¹⁾.

تعقيب

*- حاول هوسرل أن يقيم نوع من التناغم بين الموضوعات المثالية "المتعالى" والموضوعات الفردية، ويهدف من ذلك القول بأننا نرى بالفعل ونخبر الموضوعات المثالية بنفس الطريقة التي نرى ونخبر بها الموضوعات المادية في الطبيعة، وكان قبل ذلك قد اقام توازي بين الموضوع المثالي والمادي، وذهب إلى أن الموضوع المثالي مثله مثل المادي يتجسد في شئ آخر مثل تجسد الفكرة في لفظ أو عبارة أو في الفكرة أو تجسد المقولة في قضية أو شكل منطقي. وهو هنا يرد على النزعة السيكلوجية في المنطق، بقوله إن الموضوع المثالي ليس مجرد صورة ذهنية سيكلوجية، بل هو موضوع حقيقي نراه ونخبره بوصفه قائماً هناك في ذاته وفي استقلال عنا تماماً مثلما نخبر ونرى أي موضوع مادي.

يظهر لنا بشكل واضح الاضافات التي قدمها هوسرل على مذهب كانط في مفهومه عن الحدس المقولي؛ لأن الأخير قد فصل فصلاً قاطع بين المقولة والحدس والتصور، وجعل لكل منهما ملكة معرفية ومصدراً مستقلاً عن الآخر تماماً، في حين أن هوسرل يذهب إلى القول بأن المقولة هي الأخرى تحدد مع موضوع الإدراك الحسي، أو على الأقل فإن المقولي الذي سوف يتحول بعد ذلك إلى مقولة يحدد مع معطيات الإدراك الحسي. هذا بالاضافة إلى أن هوسرل أدرك أن المقولي مختلط بالحس ومحايث له. وهذا بعكس كانط الذي نظر إلى المقولات على أنها أطر قبلية في الذهن تملأ بمادة الإدراك الحسي، ولذلك كان دائماً يتكلم عن تأليف بين الحدوس والمقولات.

ويرى هوسرل إلى أن الإدراك الحسي ليس فعل سلبي للمشاعر التي تأتي من الخارج بل أنه قائم على إحضار الموضوع إلى الوعي والمشاركة في خلقه على اعتبار أنه موضوع، أي أن الإدراك الحسي هنا لشيء يتضمن إدراكه من جميع أبعاده مع معرفة كونه واحداً؛ لأن اختلاف

⁽¹⁾Ibid, P. 56.

الزوايا موضوع النظر لا يؤدي بالضرورة إلى اختلاف الشئ المدرك بل هناك وعي بهوية واحدة للشئ المدرك من عدة زوايا. كما أن هذا الإدراك الحسي يتضمن الوعي بحضور الشئ ودوامه وهويته وهي أشياء لا يضيفها الإنسان من ذاته وإنما متضمنة في إدراكه للأشياء.

يمكن القول أن الهدف الرئيس من تناول هوسرل للقصدية أنه يحاول البحث عن عمليات الوعي البشري وفهمها ليحاول أن يقدم لنا صورة منطقية عن كيفية حدوث الإدراك العقلي من خلال الذات الواعية .

إن مفهوم هوسرل عن القصدية مفهوم ايجابي قائم بذاته لأن الذات الواعية لديه تقصد إلى هذا الوعي وتسعى إليه خلال عملية الربط بين الذات والموضوع. وهذا ما يمثل نقطة اتفاق بين ديكاوت وهوسرل هو ما يعرف بـ"الكوجيتو الديكارتى".

على الرغم من الاختلاف الذي يبدو بين الاستاذ " برنتانو" والتلميذ هوسرل إلا أن هذا الاختلاف لا يعنى بشكل قاطع عدم الاستفادة او عدم التأثير من الاستاذ على التلميذ فقد أخذ هوسرل القصدية من برنتانو إلى الفينومينولوجية وادخل عليها الوعي العقلي وحاول قدر الامكان البعد عن الاطار النفسى الذى عمدا إليه برنتانو.

يرى هوسرل ضرورة عزل العلوم الطبيعية ؛لأنه يريد من هذا العزل البحث في أساس تلك العلوم على أساس أن مبادئها ظاهرات قائمات في الوعي، لأن العلوم الطبيعية بحسب هوسرل تستند على بديهيات ، ومهمة الفينومينولوجيا البحث في كيفية امتلاك الذات العارفة لهذه البديهيات، وبذلك يكون البحث الفينومينولوجي هو المؤسس لموضوعية العلوم خلال رد هذه الموضوعية إلى أفعال الوعي.

كما أن هناك صعوبات تواجه فينومينولوجيا لدى هوسرل تتعلق بالتطبيق بشكل مباشر حيث أن لا يوجد لدى هوسرل آية فينومينولوجيا صريحة قابلة للتطبيق ولا يطرح أو يقدم أي معالجة لهذا بشكل كلى مما يعنى أنه من الممكن قد تواجه محاولة التنظيم او طرح تنسيق تصورات هوسرل مشكلة في هذا الإطار وهو خطر الوقوع في بنية دورية خاصة .

كما أن الموقف التأسيس الفينومينولوجي لهذه الفلسفة يقوم على مواجهة الانفصال او الانفجار الذى يعيشه العلم ،بما أن هذا العلم الجديد الذى يريد أن يكون صارما، فإن الفينومينولوجيا يصطدم بأخفاء العلوم المستندة على الفلسفة .هذه الأخيرة التى شهدت

انحرافات أيديولوجية ناتجة عن هذا الاختفاء وذلك الغياب للصرامة العقلية ضد أفكار البدهة ، وإذا يسمح "الحكم المسبق" لهوسرل بإجراء نقد للعقلانية الساذجة للقرنين السابع عشر والثامن عشر، عقلانية ساذجة تكشف عن السير الداخلي الخاص لكل المذاهب الطبيعية ، وفي مضاعفته حينما تمزج تمثل الحكم المسبق ، وإنتاج معرفة ، خلال المفهوم الواسع للطبيعة الذي ينضم ، زيادة على ذلك ، إلى تاريخ علم الطبيعة أو التاريخ الخاص من دون اللجوء إلى الروح أو العلم .

لا يمكن فهم البدء الفلسفي إلا بناء على الموقف الفلسفي نفسه من دون وساطة التاريخ ، بموجب أنه لا أصول للفكر سوي مسائله الفعلية ، ذلك أنه ليس مبدأ للتفلسف ولا يحققه أيضا ، فالتاريخ لا يؤسس البدء ، بل ومكانته غير جوهرية في تأسيس الموقف الفينومينولوجيا ، هذا الأخير بما هو حدس الماهية مباشرة غير ذووجه حاجة للتاريخ أصلا ، بل لا بد من فصله عنه ، في معناه الحدسي الخارجي ، بمعناه التراكمي الطبيعي ، بل وأن أمكن الحفاظ على روحه فإنها تلك التي تمثل جوهر في استثمار المعنى الروحي له من الفلسفات القديمة ، من تاريخ الفلسفة ، شرط أن يساعد على التأمل والتطابق معه ، وهكذا ولأجل تأسيس العلم النظري الحديث، الذي هو مهمة الفلسفة التي تحملها على عاتقها ، والذي لا يؤخذ في معناه التاريخي أبدا ، فهو وإن اضطر إلى العودة إلى مواقف من التاريخ إنما يكون تعامله معها لأجل البحث عن نقاط البدء الفلسفي تأمليا ، لا تاريخيا.

يمكن إرجاع وعي هوسرل بدقائق الوعي وتفصيله إلى التأثير الكبير للأستاذ الذي لم ينفك يمارس عليه تأثيرا علميا هو فايرشتراش إذ أنه هو الذي ايقظ فيه قلق البحث في مشكلة "تأسيس الرياضيات" فقد كان فايرشتراش مختصا في التحليل الحديث ، بحيث أدى دورا فعالا في تاريخ الرياضيات ، من حيث أنه اقترح "حلا جديدا لمشكل قديم " يتعلق بتعلق بتأسيس الحساب متناهي الصغر مبينا بأن التحليل بما هو علم لا ينبغي أن يظل مؤسس على المفاهيم الغامضة مثل مفهوم الكمية متناهية الصغر ، وهذا تم اكتشاف الطريق الأفضل ، في ذلك والذي يمكن تطبيقه حتى على العلوم الطبيعية وثمة ضرورة توجية الأنظار نحو هذا المجال في القرن التاسع عشر م خلال تأسيس عقلاني لهذا العلم الذي يطرح مشكلات نظرية .

وإذا كانت الفينومينولوجيا هي العلم الكلي الدقيق فهل يمكن اعتبارها مجرد منهج فقط؟ أم أنها منهج ومذهب معاً؟ أن الجدل يدور دائماً بين الباحثين حول هذه المشكلة، والواقع أن هوسرل كان يتحدث عن الفينومينولوجيا بوصفها أنها منهج وصفى أكثر مما كان يتحدث عنها بوصفها مذهبى فلسفى، لأنه كان بنى المذاهب الفردية الجامدة، وأراد من الفينومينولوجيا أن تكون علماً كلياً، والعلم فى جوهره منهجاً وليس مذهباً. والحقيقة أن المنهج اختلط بالمذهب عند هوسرل، وخاصة أنه بدأ سعيه الفلسفى أولاً بالبحث عن المنهج، ثم أتمه أخيراً وأكمّله بالمذهب. وموقف هوسرل هنا مثل موقف ديكرت الذى وضع منهجاً يتوصل به إلى اليقين، ثم اتضح له أن هذا اليقين موجود فى النفس، لذلك احتاج الأمر منه وضع مذهب عن النفس يتمم به المنهج. وهذا أيضاً ما نجده عند هوسرل.

ويرى هوسرل أن المنهجية الفلسفية لا تتأثر بشكل كلياً بالعلاقات الاجتماعية، وقد يكون العكس لأن؛ الفينومينولوجي تصاب فى حالة الاستغلال الرأسمالى، وفى الحقيقة كان هذا سبباً لنقده، حيث أن إتجاه هوسرل نحو تشيؤ لما هو معطى مرتبط فى المجتمع البرجوازي المتقدم وتعوضه بمفاهيم جوفاء خادمة لإتجاهه. كما أن فقدان التجربة الحقيقية يتناسب مع القوة المتزايدة للإنسان الحديث، فالفينومينولوجيا تمثل آخر جهد فارغ للفكر البرجوازي، لتفادى هذه القوة المتزايدة نفسها. إلا أن هناك ما هو خطير بديهية الهوية والمباشرة المطلقة يمكن أن تؤدى إلى فرض القوة السياسية لأيدولوجيا مطلقة، وبالتالي هناك خط ميم بين الفينومينولوجيا والفاشية؛ لأنها فى النهاية تعبير واحد عن أزمة المجتمع الرأسمالى المعاصر.

من ضمن أيضاً النقد لهذه النظرية هى أنها تختزل انطولوجيا العالم بشكله العام الموضوعى أنطولوجيا إلى مجموعة إلى مجموعة من الظواهر الشخصية أنطولوجيا، يتمثل الهدف من التحليل الفلسفى للإدراك فى تحليل مفهومنا العادى والعلمى لما يعينه الحديث عن إدراك موضوعات وظروف العالم، وينتج عن التحليل الظاهراتى المثل أن كل هذه الكلام يدور فى الحقيقة حول الشخصية الانطولوجية. لكن هذا يعنى أنه إذا كان المشروع متعلقاً بتفسير الطرق العادية لتفكير وحديثنا فإنه قد يفشل بهذا المعنى. ولهذا يتساءل ما الخطأ فى القول إنه قد فشل، أن كل ما يوجد هو تجارب باللغة الخصوصية فى ذهنك وفى أذهان الآخرين؟ يمكن الجواب فى أن هذا يؤدي إلى الأنا (وحداناً) اتضح الآن أن الظاهرة الوحيدة فى العالم

التي تعد منطقية بالنسبة إلى بحيث يمكنني أن أتحدث عنها ، هي تجاربي الخاصة ، وإذا كانت لديك تجارب ، فلا يمكنني أن أتحدث عنها ، هي تجاربي الخاصة ، إذا كانت لديك تجارب ، فلا يمكنني أن أعرفها مطلقا ؛ لأنني أستطيع معاشتها مطلقا وبالفعل ، إذا كنت أنت موجودا فلا بد من أنه يمكن اختزالك إلى تجاربي .

أن ما يكون سبب في النقد أيضا للظاهراتي ، بعض العيوب المتعلقة بالتقنية من دخلها ، بل لا عقلانيتها المحضة . فما هي النتائج لذلك ؟ أنك لا ترى في الواقع الموضوعات والظروف الموجودة بشكل مستقل في العالم ؛ بل أن كل ما يمكنك أن تراه على الإطلاق هو التجارب الخاص ، فلا يرجع هذا إلى بعض القلق المعرفي الذي قد يعترينا مثل المعاناة من الهلوسة ، أو نعاني من العفاريات الشريرة ، أو أننا أدمغة في أوعية . بل لأنه حتى لو كان كل شيء يسير على أكمل وجه فكل ما تراه على الإطلاق هو تجاربك الخاصة ، بالمعنى الدقيق للكلمة ، لا يمكنك حتى أن نقول أن ما تراه يدور في الرأس ؛ لأنه يمكن اختزال الرأس بطبيعة الحال إلى مجموعة من التجارب.

إن الفلسفة إذا كانت تريد توضيح سر القصصية فيجب أن تأخذ بعين الاعتبار تقدم علوم الأعصاب وعلوم المعرفة ، فقد تطرح القصصية مشكلتين متميزتين كل منهما عن الأخرى ومتكاملتين.

المشكلة الأولى : كيف يعمل جهاز فيزيائي وبيولوجي - دماغ بشري مثلا- لإنتاج تمثيلات هو تمثل ذهني أو غير ذهني - الشيء ذو الخصائص الدلالية للمقول الكلامي وإشارة المرور خصائص الدلالية للمقول الكلامي وإشارة المرور خصائص دلالية لبعض الحالات الذهنية دلالية ظهر أنها تمتلك كلها هذه الخصائص فالأحاسيس حالات ذهنية لا تمثل شيئا.

لكي نفهم سر القصصية ينبغي أن نحاول معرفة أنه : بفضل آية خاصية فيزيائية أو كيميائية أو بيولوجية يتوصل الجهاز المادي إلى صنع تمثيلات ؟

المشكلة الثانية هي مشكلة الدور السببي. أن التمثيل خاصية دلالية ولها أيضا خصائص فيزيائية ، ليست الخصائص الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية الوحيدة التي تشرح سلوك الجهاز برمته ؟ هل للبعد الدلالي دور يلعبه وما هذا الدور ؟

المشكلة الأولى... مشكلة "تطبيع قصدية إنا القصدية خاصة للأنظمة العصبية لبعض الكائنات الحية المعقدة، يسمى هذا الطريق "واقعيًا" لأنه يعتبر القصدية حاضرة حقيقية في الجهاز العصبي.

خلاصة القول لما سبق الحديث عنه، مثلت الظاهراتية العبء الكبرى التي اندرجت تحتها كل أشكال الممارسات والاستراتيجيات النقدية التي اتخذت من الذات وفعلها التأويلي ما يسمح لها بمقاربة النصوص والخطابات التي همشت المعنى، إذ كانت الظاهراتية بمقولاتها: الوعي، القصدية،... المدخل الواسعة التي سارت إلى جانب التأويلية وفعلها: الفهم والتفسير... في الكشف عما أضمرته النصوص بمعنية ثلة من فلاسفة القرن: هيدجر وجادماير وبول ريكور، والتي أخرجت من طابعها المتعالي مع هوسرل إلى كونها فلسفة ومنهجًا في المعنى، داعية بفعلها التأويلي إلى الانفتاح والتجدد وإطلاق العنان للإبداع.